LeCaire 27-—11—1950
3ème année No 908

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مصـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

« السنة الثامنة عشرة — ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠ — ١٣٧٠ العدد ٩٠٨ « القاهرة في يوم الاثنين ١٦ صفر سنة

من ذكريات القرية :

قصة حشــــاش

كان تدخين الحشيش في أيامنا الخوالي مقصوراً على صعاليك الناس، يحملونه في السر، ويدخنونه في الظلام، ويلوذ بعضهم ببعض في زوايا القرى وخرائب المدن، فراراً من النظرات الجارحة والغمزات المهينة ، لأنهم كانوا في رأي المجتمع أقل قدراً وأذل نفساً من معاقري الخمر ومتعاطي الشبع ؛ فبينا كان الجهال الجاهد يصور السكير جالا بين يد مترفة ووجه وضئ ، والسيكارة جلالا بين يد ثرية وثغر جرىء ، كان يصور الجوزة قذارة بين يد خشنة وفم ردى ! فلما حرم البوليس تداول الحشيش في كل بيئة ، وبرر تناوله على كل طبقة ، بفضل مطاردته الغالبة لجالبيه ومهربيه ، ومصادرته المستمرة لبائعيه ومحرزيه ، أصبحت الكأس لا تلذ إلا معه ، والسيكارة لا (تكيف) إلا به ؛ وأضحى ذلك الشيء الحقير القذر يصان في حقيبة يد المرأة ، وفي حافظة نقود الرجل ، وفي محفظة كتب الطالب ، وفي درج مكتب الموظف ، ولا يسمى الرجل متمدناً ولا متقدماً إلا إذا أخذ منه وأعطى ، وأضيف به وأضاف : وأمسى الحشيش والحشاشون في صدر المجتمع وفي حين الدولة ، لهم ذكر في الصحف ، ومواد في القانون ، وقلم في البوليس ، ومحكمة في القضاء ، ومهربون من حجاج البيت ، ومورمون من رجال السياسة ، ومصدرون من إخوان العروبة !

ولا جرم أن هذا الطيل الذي لا يمكن اتر مدوقات الزمار الذي لا ينقطع زمره ، هما اللذان جذبا إلى الحشيش النظار ، وجملا المحشاشين والمهربين هذا الخطر ! والمحظور منظور ، والممنوع متبوع ، والاعلان إعلام أين من حالهم اليوم حالهم بالأمس ؟ كنا لا نراهم إلا في النادر ، ولا نسمع بهم إلا في النكت والنوادر . ومن وقع منهم في الرؤية أو في السماع كان موضع التنكير والتحقير حتى يتوب أو يموت .

اقرأ هذه القصة ثم وازن في نفسك بين حال الحشيش حين كان وازعه الدين والخلق ، وحاله حين أصبح وازعه القانون والبوليس:

كانت قريتنا حين وعيت لا تفهم من الحشيش إلا العشب ، ولا من الحشاش إلا من يحش البرسيم . وكان ظرفاؤها ممن يغشون المدن يروون لأهلها الأضاحيك من الحشاشين في القاهرة فيصفونهم صنفاً من الناس تميزوا بالنكت والجهل والمسارق ، حتى طرأ عليهم رجل فقير ضرير يلبس الطربوش التركي والعمامة الجوخ والجلباب الصوف ، ولكنه كان متطوح الأسباب ، فلا هو سائل فيعيش على الإحسان ، ولا هو حافظ فيتكسب بالقرآن . إنما كان رجلا مهذب النفس ، حلو الحديث ، إدرع النكتة ، يحسن الغناء ، ويجيد النقر على الدف ، فأحسنوا لقاءه وأكرموا مثواه ، وأفرد له عمدة القرية حجرة خارج الدور جعل منها دكانه ومجلسه ومضجعه . وكان يختلف إلى هذه الحجرة في كل مساء بعض الشيوخ ممن يحبون غريب السمر ، وبعض الشباب ممن يطلبون

لهو الحديث. وكان عباس، وهو اسم ذلك الرجل — ينتقل بالجلوس من جد إلى هزل، ومن غناء إلى عزف، فيعجب ويطرب، ولكن أشد ما فيه كان الدعابة والنكتة: كانت نكته على طريقة (أشمعنى؟) وكانت دعاباته من طريق التورية. وكان يركب هاتين الطريقتين أو إحداهما ثلاثة من خلطائه وخلصائه: فقيها أعمى وطحانا أعشى وفلاحا أعور، فلا يدري أحد منهم كيف يدفع عن نفسه. كان هؤلاء الثلاثة يقولون إذا انصرف السمار: يقفل الفلاح الباب، ويوصد الطحان الدار، ويهيئ الفقيه الجوزة، ويمد عباس القرص، ثم يتعاقبون الغابة نفسا بعد نفس. وكان عباس قد أخبرهم منذ اطمأن إليهم أن هذا هو الحشيش الذي يشق ذهن الغبي، ويطلق لسان الأبكم، ويرهف حس البليد؛ وأنه هو الحشاش الذي تحفظ نكته، وتروى ملحه، وتطلب فتاواه. فلم يخامرهم شك في قوله، لأنه هو نفسه الدليل على صدقه، فأقبلوا على الدخنة القذرة يأخذونها بالشهيق والزفير، ويتركونها بالسعال والشخير، حتى أصبحوا مدمنين لا يطيقون صبراً عن الحشيش، ولا يستطيعون بعداً عن عباس. وكان لابد للحشاشين الجدد أن يساجلوا في (القافية) الحشاش القديم. فنجح الأعمى كل النجاح، ووفق الأعشى بعض التوفيق، وأخفق الأعور غاية الإخفاق؛ لأن غباء ذهنه كان أكثف من أن يلطف، وغشاء حسه كان أصفق من أن يرق. ولكنه كان قوي الإيمان بالحشيش فلم ييأس بالواقع. وأقبل المساء، وغصت الحجرة كعادتها بالشبان والأحداث، فلهوا بالمواويل، ثم تساجلوا بالفوازير، ثم تجاوبوا بالمواويل، ثم أخذ عباس يرسل النكتة بعد النكتة فيقهقه لها الحضور، ويرد عليه الفقيه والطحان فتتجاوب أرداها الصدور، وتنصب النكت على الفلاح انصبابا فيحاول أن يردها عن نفسه فيفغر فاه، ويرعش رأسه، ويهز يده، ويحاول أن ينطق فتنشب في حلقه الحروف ولا تخرج، ويتردد في صدره الصوت ولا ينطلق، فيسخر منه الجلوس ويتناولونه بالعبث المؤلم فلا يسعه إلا الانصراف. وفي أثناء الطريق تراوحت على خاطره شبهات في قدرة الحشيش على حل العقدة من اللسان، ولكنه دفعها بما فعل في الفقيه والطحان، وعزم أن يضاعف المقدار. فلما رجع إلى (عزبة) الباشا بعد انصراف الناس كزّ الشدق، وضيق النفس،

وطول النوبة. وفي آخر الليل استغفل رفاقه واختلس قطعة كبيرة من الحشيش، وظل في داره النهار كله يقتطع منها القطعة على قدر حبة الفول، ويذيبها في فنجان من القهوة السادة ثم يجرعها. فعل ذلك مرتين ثم أراد أن يفعل الثالثة فلم يستطع. فقد أخذته حال من الخدر الشديد فصار يأكل ولا يشبع، ويشرب ولا يرتوي، ويتكلم ولا يعي، ويضحك ولا يكف. وكلما رأى أحداً من أهله أو من جيرته قال له بلهجة متلكئة متقطعة متلعثمة: إنت غشي — أشمعنى؟ زي الجزر! أه أه آه! أنت تاكل، أشمعنى؟ زي الفول! أه أه آه! فينظر إليه السامع مشدوهاً ولا يضحك، فيرفع (المسطول) الصوت، ويعيد النكتة، ويردد الضحكة، ولكن الشدو يظل واجماً لا ينطق. وفي المساء تحامل الأعور على نفسه حتى بلغ مجلس القهوة، ولم يكد يدخله حتى قال بلهجة الأول المسطول: أنت يا عباس! فأجابه عباس مبتسماً: أشمعنى؟ فقال له: أعمى! أه أه آه! وانتظر هو ماذا يقول الناس، وانتظر الناس ماذا يقول عباس، فإذا الناس يضحكون، وإذا عباس يصيح: أهذه نكتة يا نصف أعمى! ثم انثالت النكت الساخرة في وجه الحشاش المخدوع حتى ألجأه إلى الخروج فخرج خزيان يهذي. وعاد إلى داره وهو يشعر أنه الليلة غير سنه البارحة، لأنه قال على كل حال شيئاً. وكان قد عرف من عباس أين يباع الحشيش فاشترى منه مقداراً كبيراً وأخذ يذيب منه في القهوة ويشرب. وفي كل ساعة من ساعات النهار والليل كان يرتقب وحي الحشيش فلا ينزل، وينتظر ذكاء الحشاش فلا يقبل، فيضاعف المقدار ويزيد الجرعات، حتى هزل جسمه، وشحب لونه، واختل هضمه، واعتل صدره، واضطرب عصبه، وساء خلقه، واعتراه الممسوس ولزمه الوسواس، فصار لا يعمل في غيط ولا بيت، ولا يفكر في زوج ولا ولد، وإنما كان أكثر يومه ناعساً، فإذا أفاق هذى بالنكت الباردة والدعابات السخيفة. وفي غشية من غشيات الخدر باح بالسر المكنون فقال وهو يضرب بيده على صدره: أنا الحشاش الأصل لأني أشرب الحشيش بالفنجان، وعباس وصاحباه حشاشون مقلدون لأنهم يكتفون منه بالدخان!

وتسامع الناس بالسر المفضوح فخاصموا الأعور حتى نفق من الخبال، وقاطعوا الأعمى والأعشى والأحمس حتى هلكوا بالسلال!

احمد حسن الزيات

عصابة روتشيـــــلد

١ ـ أمير هس كاسل يبيع شعبه ليهودي فرنكفورت .
٢ ـ إنجلترا تستغل أفراد الشعب وتجندهم لاستعمار أمريكا .
٣ ـ فلاسفة أوربا يشهدون على الألمان واليهود بالعبودية .
٤ ـ اليهود يتمكنون من المال ويخرجون من العزلة .

للأستاذ محمد محمود زيتون

انتصف القرن الثامن عشر وما زال الثروة العامة محصورة في استغلال الضياع ، أو المدائن المسيطرة على الأسواق ، وليس من سبيل إلى الغنى سوى امتلاك الأرض ، وتوفير المال ، والتعامل بالربا . فكان من الطبيعي أن يكثر المال في أيدى نفر من الأثرياء ، بينما يكاد ينعدم عند الكثيرين ، مما أدى إلى استغلال ذوى الحاجة ، ودفعهم إلى الدين والاحتكار .

وهناك في مدينة فرنكفورت ، مرابٍ ماهر أسمه روتشيلد في حى اليهود ، يتجر في الأوسمة والأحجار الكريمة ، والقديم من النقود ، وفي الحوالات حيث يستوفون النقد .

وأصبح « الكونت هاناونزج » — الصديق الحميم لليهودى روتشيلد — أميراً على « هس كاسل » فكان له حق التصرف في رعيته ، ولا يسأل عما يفعل بهم ، فهو يجندهم ثم يبيعهم — كقطعان الغنم — للدول الأجنبية تستخدمهم في حروبها الطاحنة .

وكان التنافس في الاستعمار بين إنجلترا وفرنسا على قدم وساق ، بيد أن إنجلترا قد بدأت الجهود الجبارة في طرد فرنسا من أمريكا الشمالية لتكون لها خالصة ، وتنفرد هي باستعمارها ، فاستعانت بأمير « هس كاسل » تشترى منه شبيه الجند لتحقيق مطامعها .

لم يكن الأمير ينسى فضل اليهودي عليه وما يلقاه من أجله لدى معارفه من أصحاب المصارف في فرنكفورت لتخليص ثروته الهائلة يوم فر بها من وجه نابليون سنة ١٨٠٦ ، ولو لم يكن غير هذا سبباً للمصادقة لكفى ، ولكن الأواصر قد توثقت بدوام النصائح العملية التى كان يسديها روتشيلد إلى صديقه الأمير ، فضلا عما تميز به اليهودى من حذق بالغ في تدبير المال ، وشح وصل بصاحبه إلى حد الجنون ، وسيطرة نافذة على أسواق فرنكفورت . أضف إلى هذا كله ما بين الرجلين من تقارب في الميول لاستثمار الأموال .

هكذا وضع الكونت كل ثقته في روتشيلد واستخدمه وكيلا عاماً لشؤونه المالية من باب عرفان الفضل لذويه ، فأجلس من التجارة في محله ما جعله أحدوثة التجار في حى اليهود ، وتقاطرت على الأمير طلبات القروض المالية من حكومات الدانمارك وهس دار مستات وبادن ، كما تكاثرت عقود استئجار أفراد شعبه ، وهو يقدمهم لإنجلترا كأنهم رءوس من الغنم يدفعها إلى (سلخانة) الحرب الاستعمارية قطيعاً بعد قطيع .

ولم يكن تقديم هذه القطعان البشرية على هذا النحو جريا وراء انتصار لحق ، أو رغبة في انتقام منتقم ، أو مجرد الحب الصافي لأصحاب العيون الزرق ، وإنما هو المال ولا شيء سواه .

كانت إنجلترا تستأجر — أو بالأحرى تشترى — قطعان هس كاسل بثمن ، والأمير بدوره يدفع لهم أو لعائلاتهم ثمناً بخساً في حالة الحرب ، أما المصابون بجراح أو عاهات تقعدهم عن كسب العيش ، أما الذين تودى بهم الحرب إلى دار الفناء ، فإن إنجلترا تدفع عنهم للكونت التعويضات المناسبة ، التي يعود معظمها عليه وعلى وكيل ماليته بالذهب الوفير .

وليس في هذا أي غضاضة ما دامت النواميس المعاصرة تبررها ولا تستنكرها ، وإنما هو كسب تجارى ، والمكسب هو الفرق بين ثمن البيع وثمن الشراء ، وليس يهم بعـــد ذلك إذا كانت السلعة جماداً أو نباتاً أو حيواناً أو إنساناً فهي تجارة تؤدى إلى ربح ، وهذا هو المطلوب .

وتجارة كهذه لا بد أن تدر المال الكثير وتجلب الثروة الضخمة ، مما حقق للرجلين سمعة ممتازة عند الحكومات الأجنبية التى تتعامل معهما ، ولا سيما تلك السمعة الطيبة التى طاروا بها في جميع الأوساط من حسن المعاملة ، والوفاء بالتعهدات ، وتنفيذ الشروط المتفق عليها ، بالشرف والأمانة ، من غير غش أو تزوير .

أما المأجورون وعائلاتهم فليس لهم أن ينبسوا ببنت شفة ما دام أميرهم هو السيد المطاع الذى امتلك أرواحهم وأجسادهم يوم

امتلاك الأرض بما عليها ومن عليها ، فهو يبيعهم ويشتري ، كيف يشاء ويمنع من يشاء ، وإذا أعطاهم رواتبهم ، والتعويضات بعد موتهم ، فذلك فضل منه .

وكان روتشيلد يخشى أن تبدد الثروة بعد وفاته بين ذرية وأزواج بناته ، فسارع إلى بيع متجره لبنيه الخمسة الذين مرنوا معه في التجارة ، وضربوا في البلاد طولاً وعرضاً ، للسيطرة على زمام المال عبر البحار ، واحتكار الأسواق . وإضافة ذلك أنشأوا نظام « الزمالة » للوقوف على الحركات المالية بين مدنها وجزرها وبها نظّمت الأعيبهم على الكتمان ، وتأمن من عواصف المضاربات .

ومات شيخ التجار اليهود في فرنكفورت سنة ١٨١٢ وترك هذا التراث الضخم لأرملته وبنيه وبناته ، فأكبوا على المال يستثمرونه بكل طريق مشروع ، وحرصوا كل الحرص على خطة أبيهم ، واتبعوا وصيته ، وحضوا الترابط على تقاليد الأسرة ، وساروا خلف أبيهم : وقع الحافر على الحافر .

واقتسم الإخوة أرجاء القارة فيما بينهم ، فأقام ناتان بلندن ، وجيمس بباريس ، وسالمون بفرنكفورت ، وشارل بنابلي ، وسليمان بفيينا ، وهكذا أمسكوا بقلوب العصب الحساسة في أوربا التي لم تخلُ حكوماتها إلى وقت كانت فيه واحدة تلو الأخرى في حبائل روتشيلد .

كانت العصابة اليهودية تشق سبيلاً واحداً من الحضيض لتخرج من القمة ، ومن أجل هذا اتخذت كل سبيل إلى هذه الغاية وأخذ اليهود الخمسة أنفسهم بتحقيق أغراضهم ، وإن شئت يوم الميلاد ، وبعد الزواج ، وعلى ضوء المبادئ الآتية دستوراً من الخارج :

أولاً : يندمج أبناء روتشيلد اندماجاً كلياً في البلاد التي يقيمون بها ويشرفون على دقائق الحياة فيها .

ثانياً : مصلحة روتشيلد أولاً ، فيهود فرنكفورت ثانياً ، ثم اليهود عامة ، ومن بعد ذلك الطوفان

ثالثاً : لليهود وحدهم تكون الأعمال والأموال .

رابعاً : التعاون مع الحكومات تعاوناً إيجابياً يكون من شأنه تحقيق أهداف روتشيلد وليكن بعد ذلك ما يكون .

خامساً : ليس لأحد الإخوة الخمسة أن ينقض خطة الآخرين ،

وفي حالة الفشل يتعاون الجميع على انتشاله

سادساً : اتخاذ كل الطرق المؤدية إلى النجاح ولا سيما بالرشوة والدس والإلحاد والمقامرة والسرقة والتدبير ، وما يستحدث بعد ذلك من أساليب

سابعاً : المال .. المال .. المال .. ولا شيء إلا المال .

وفي الحق أن الإخوة الخمسة كانوا أمناء على هذه التعليمات : كل في دائرة عمله ، وكانوا من النشاط بحيث فاقوا القردة والحمائم خفة ودهاء .

كان (ناتان) مقيماً بإنجلترا منذ أسند إليه أبوه عملاً مالياً هاماً ، واتفق أن ضرب الحصار القاري على النابليونيين ، وخشي (ناتان) عواقب التهريب ، على أن نابليون لم يكن يسمح بالتهريب إلا في حدود ضيقة وذلك فقط لإرضاء حلفائه ، وإلا لتحطمت الصدأة على هذه الصخرة العاتية ، في مثل هذا الدور السياسي الذي ساد العلاقات الدولية آنذاك .

وأغلق الباب في وجه رانجمبي بحدوده في فرنسا ، وأعوزته النفقات الآتية من إنجلترا ، وكان الإنجليز في حيرة من أمرهم ، وتنازعهم الخوف والرجاء : الخوف من تسرب النقود الذهبية إلى الخارج ، والرجاء في توصيل المال إلى ولنجتن

أما ناتان فقد اتخذ أحد الوكلاء للإعجاز على أموال طائلة في فترات متعاقبة بغية أن يستبدل بها كميات من الذهب والفضة لتهريبها إلى فرنسا عبر المانش ، وعرف ناتان من أين تؤكل الكتف ، فاتصل بأخيه جيمس ووصاه بالمبادرة إلى الحصول على ترخيص من ولاة الأمر بباريس لتحويل رسائله وبذلك ضرب ناتان عصفورين بحجر ، وحصل على مبالغ طائلة من وراء التهريب .

وفي هذه الفترة كانت المالية الإنجليزية في عجز شديد ، واضطراب بالغ ، ولم تدر إنجلترا من أين تشتري الذهب ، وبالتالي كيف تنقله إلى جنودها في الخارج ، وبرز ناتان في الميدان ، وسرعان ما استعان بجيمس الذي لعب دوره في السوق المالية حيث اشترى جميع الأموال الفرنسية التي أتخمت أوربا ، ونجح ناتان في نقلها إلى إسبانيا وإلى البرتغال ، وقد عادت هذه العمليات عليه بأرباح تذهل العقل ، مع أنه لم يلجأ إلى تحويل العملة عند

المال كما أنها لم تتعرض للأخطار من أي نوع ، ووصلت سمعة شركة روتشيلد إلى قمة الثقة لدى جميع الحكومات .

وخيمت الغيوم السياسية على جميع أوربا ، وعانت الحالة المالية في كل مكان بالهبوط السريع الأدى بالحكومات إلى الهاوية السحيقة ، وإزاء هذه الحالة انفردت عصابة روتشيلد بالقدرة على سد الحاجة ، فأخذت تعرض بأثمان الفاحش ، وتختص بقروضها ما تشاء من الحكومات ، وتحتكر الأسواق المالية .

ولما فرض التعويض الحربي على فرنسا وعمّ ذلك غير أوربا ، لم تجرؤ إلا شركة روتشيلد فتعهدت بالمهمة وقامت بها خير قيام . وربحت من جراء ذلك بنسبة واحد ونصف في المائة من عشرين مليوناً من الجنيهات أو أكثر ، علاوة على ما ظفرت به من شكر حار وجهه إليها وزير إنجلترا ، لقاء خدماتها التي تنوء بالاضطلاع بها على جميع الشركات وإن كان بعضهم يمتش كثيراً .

وهذه حكومة النمسا تئن تحت ديونها الفادحة للمصارف الخصوصية . فتعهدت عصابة روتشيلد بنقل أعبائها في التعويض الحربي ، بل أقرضت النمسا الأموال التي كانت في حاجة إليها ، مما حدا بإمبراطور النمسا إلى أن يخلع على العصابة ألقاب الشرف ، ويمنح لها بأساسيس فرع لها في فينا ، قام على شؤونه (سليمان روتشيلد) .

وامتدت أيدي الأشراف في النمسا وروسيا وأوروبا إلى الاستدانة ، مما أنعش حركة القروض في فرص فيها وفرانكفورت على نحو ظاهر .

وقامت في نابل ثورة أهلية قبضت (مترنيخ) على لإخمادها ، وفرض على الثوار غرامة مالية باهظة ، فطلب من (شارل روتشيلد) أن يدير المال للمتلوين على أمرهم مع مراعاة مصلحة النمسا في هذا الأمر . ولكن شارل سليل روتشيلد — تلك العصابة اليهودية التي تحدوت أهدافها — كان وفيا للتعليمات ، حريصاً على الإسعاد ، دق على حساب (مترنيخ) بل النمسا التي زرعته يرفق عاقلتها بقوة .

اندس شارل في أوساط نابل كما تندس الأفعى في أحضان مش دفء ، وسعى سعياً حثيثاً في مقاومة الاحتلال النمساوي . وتحجم خزانته للمقترضين حتى أن يختل الميزان الاقتصادي ، ولكنه على العكس انقلب رأساً على عقب ، وزادت الحالة سوءاً ، وساءت شارلا ، وأعمالها ، من حيث أرادت أن تكتمل عالة عينها ، ولم تزل من الأصفر الرنان ، غير الرنين الطنان وعجز الحاكمون من إصلاح ما أفسد الدهر وشارل ، ولكنه توارى بالحجاب ، وداعب الميون بريق الذهب ، فتهافتوا عليه تهافت الفراش على النور ، فاحترقوا بالنار .

هكذا كان شارل ؛ فقد سنحت له الفرصة « الذهبية » واغتنم احتياج النمسا إلى المال فأرغمها على تعيين نشيه وزيراً للمال ، فكان له ذلك ، واستطار بركب الصعب من الأمور ، وقام الوزير بتعديل يسير تلاه قرض خاص به فانتعشا من إعثارها ، فتحسنت الحالة ، وتأتى نجم شارل حتى اعتبره البابا مديراً لأمواله تقديراً لخدماته التي تذكر فتشكر ، وما كان أدرى شارل عن وافر الشكر ، وعاطر الذكر ، ولكنه يعمل حيثما كان في سبيل المال لنفسه ، أما إذا كان لليهود قسميه في سبيلهم مشكور وهو على ذلك غير مأجور ولا مأزور ، ويحميه هذا الحرص على تعليمات روتشيلد ، يرعاها ويعض عليها بالنواجذ .

وأنشأ (جيمس) مصرفاً في باريس ، تقاطرت عليه طلبات القروض ، فربح من ذلك ثروة جمعته في أسرع وقت أغنى رجل في فرنسا بعد الملك ، وساومت عصابة روتشيلد أخطار على البلاد من سائر الدول الأجنبية بعد إنجلترا ، التي أهوت بفؤوس الخراب على رأس فرنسا ، فجاءت روتشيلد بمحمد ما تنق من يابس وأخضر .

وكان لسليمان في النمسا وجهته ، ولكل وجهة هو موليها ، فقد ساهم في المنشآت العامة كالطرق الحديدية والمناجم ومصانع الأنعام ، وما كان هدفه من وراء ذلك إلا المال ، ولا شيء إلا المال ، ولما اعتزم مترنيخ إعلان الحرب على بلجيكا أعوزه المال وفي ظنه أن خزائن سليمان ملأى على سد اليمين ، ولكن خاب ظنه إذ رفض سليمان ، ولم يكن بد من العدول عن الحرب .

هذا وعصابة روتشيلد لا تتوانى عن إمداد اليهود بكل ما يخفف ويلاتهم ، ويثبت قواعدهم ، ويجمع شملهم الشتيت ، يبذلون في ذلك المال بسخاء ، وبدون قيد أو شرط ، أما المثل العليا والحركات الناهضة ، والمشروعات العامة ، فذلك شيء من وسائلهم ولا يتمشى مع أطماعهم إسيل ، فلا يولونه غير أذن من طين وأخرى من عجين .

كانوا من الذكاء إلى حد استغلال الخرافات والأساطير للسيطرة على أوهام الناس، وجذب الأنظار إليهم، فقد استخدموا نظام المراسلة الذي أنشأوه ليكلف ملايين عادت كلها أمام بحثهم في نقل خبر هزيمة نابليون في (ووترلو) قبل شركات الأنباء بيوم، فتمكنوا من تكييف أعمالهم المالية حسب الظروف، وكسبوا أيضاً قصب السبق في نقل الأنباء.

وسرعان ما دخلوا من القاع، وعجلان ما خرجوا من القمة، وتربعوا على كرسي الحكم في يسر، وامتزجوا بطبقات الأشراف عن قرب، وطاردتهم فلول المعارضة في كل مكان، فلم تلبث أن أعياها الكلال، وأجهدها اللحاق، فني التيار آثر المخلصون أن تزداد الحالة سوءاً بأيدي المواطنين الكاثوليك، على أن تعهد إليها بالإصلاح أيدي الأجانب اليهود، ولكن ما الحيلة ؟! ... العين بصيرة، واليد قصيرة، وروتشيلد كالأخطبوط آخذة بخناق أوربا، ومراكزها في جميع الأرجاء وطيدة بحيث تفزع إليها الحكومات كلما حزبت الأمور، واشتدت الأزمات وما أكثرها كما أن الدول لا تطمئن إلا لها في نقل التعويضات إلى حيث تشاء عبر أوربا وهي بنجاة من الخسران.

ومع هذه الثروات الضخمة التي كدسوها من الربا والغش والاحتكار لم يحاولوا الظهور في ميدان النظم الاقتصادية الحديثة القائمة على أسس علمية، فما كان أبعدهم عن هذا المضمار نظرياً وعملياً، وما كان أقربهم من الحركات الرجعية الضاربة بعروقها في أعماق الشيع والأنانية.

فقد اكتشفت مناجم الذهب، وفاضت منابعه، وامتدت الطرق الحديدية، وتمددت الثروات واتسعت المصانع، وانتهت الضحايا — وهي في الرمق الأخير — إلى الأقطاب السود وقد ولغت في دماء أفراد الشعوب، ونشدت بأشلاء حكومات الدول.

ومنذئذ انكمشت العصابة السوداء في أوكارها، وبدأت نجم شمسها في الخفاء، ولكن أذنابها لم تزل حتى يومنا هذا تعمل ألاعيبها في لندن وباريس وفرنكفورت وفينا ونابلي. ولما كان ناتان أكثر الإخوة نشاطاً، فقد لزم أن تكون لندن مركز هذا النشاط. ومن هنا كان على إنجلترا أن تتبنى سياسة عصابة روتشيلد، مسترشدة بأساليبها، مقتفية آثارها، ولا سيما بصدد الاستعمار: ولهما الصهيونية اليهودية، وسلب الأحجار والقطعان البشرية.

وتم التسامح بين اليهود والإنجليز، وصعب على الناس التمييز بينهما، فإذا قالت إنجلترا «تمسكنت فتمكنت» تبادر إلى الأذهان أنها ترجمة حرفية لمبدأ «ادخل من الحضيض لتخرج من القمة».

وسيذكر التاريخ بمزيد الإعجاب فلاسفة أوربا المعاصرين أمثال (زهاروف)، و(ليفنسون) و(ميرز)، و(والرشو)، و(هارولد لاسكي) و(شارل فرانسز)، و(هنري آميز)، و(ولز) وغيرهم من الباحثين في تاريخ الثروات ووسائل تحصيلها وعوامل التضخم المالي في أوربا وأمريكا، وما خلت الحركات المالية قط من أساليب اليهود الذين أمسكوا بعجلة التقدم، فعطلوا العالم عن بلوغ أهدافه السامية، وعكروا صفو السلام السياسي والاقتصادي. وإلى هؤلاء الباحثين يرجع الفضل في الكشف عن أسرار الخراب الأوربي في القرن الماضي، وبحسبهم أنهم رفعوا النقاب الأسود عن وجه القارة، وتتبعوا الأساليب اليهودية في كل مضمار، ووقفوا على خبايا الاستعمار، وخفايا السياسة «الأنجلو يهودية» مع الدقة والإخلاص في الشرح والتشريح.

ولسنا نجد أقرب من الكاتب الفيلسوف (هـ. ج. ولز) وهو إنجليزي لحماً ودماً وهو يشهد أمام محكمة التاريخ فيقول: «وإذا قامت أسرة روتشيلد بتحرير اليهود فإنما تحرر نفسها، وتسترد ما تنفق من مال بفضل تعاون اليهود الذي يقتضيه فعل المعروف. ويظهر أن ولاءهم لابن جلدتهم كان غريزة ركبت في طباعهم، كانعدام الطالع، ودأبهم على العمل، على الرغم من أن رسائلهم وأساليبهم العملية لا توحي للباحث بهذا الرأي».

وليتأمل معي كل بصير هذه العبارة «وتسترد ما تنفق من مال» ولنذكر إلى جانبها عبارة أخرى للكاتب الفيلسوف بصدد تبرير هذه السياسة إذ يقول «إن أعمالهم كلها عادلة تبررها مقاييس العصر»، وهكذا صدق المثل العربي «إن العصا من العصية وهل تلد الحية إلا حية».

ليت العرب يعلمون هذا، ويعملون بقول شاعرهم:

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها
إن كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا

محمد محمود زيتون

صور من الحياة :

إنســـانية تهاوى!

للأستاذ كامل محمود حبيب

قال لي صاحبي « ما بالك ساهم الفكر مضطرب النفس مقطب الجبين ، يلوح الأسى والهم في نظراتك ، وتبين سمات التجهم والهم من خلال كلماتك ، وتهوى بك منطلق الوجه مستبشر الخاطر منفرج الأسارير؟ » .

قلت « آه ، يا صاحبي ! لقد مشت منذ الصباح في غمرات من الألم أراها قاصمة الظهر ، وجهدت أن أدفعها عن خيال فكادني أن أفشل ، فطرت إليك علك تخفف عن قلبي بعض ما ألقته حين رأيت له النفوس وقد نضبت من الإنسانية وصفرت من الرجولة » .

قال « هاتها ! » .

قلت « هي قصة رجل عصرته الحياة بين شكين طاغيين من وطأة العلة وشره المال فما أفاق إلا على دوى يؤرق نفسه ويثير همه ... دوى ينذره بأنه أوشك أن يفقد حياته وماله في وقت معاً » .

هو رجل طوى عمر الشباب ينظر إلى الدنيا بعينين فيهما روعة الأمل ولمة الرجاء ، ومن حواليه صبية صغار يرفون رفيفاً حلواً يبعث في قلبه الهمة والنشـــاط ويبذر في روحه الهدوء والطمأنينة ، فهو يرى فيهم نوراً يتألق فيبدد ظلمات من العيش تكاثفت أمامه منذ أن مات عنه أبوه وخلفه وحيداً في خضم الحياة تتقاذفه أمواجها العاتية لا يجد المرشد ولا المساعد ولا الناصح فراح يتخبط على غير هدى .

وأحست الحياة بوحدة الصبي وشقائه فبسمت له ويسرت لا ترد ولا تشاق ، ولكن شيئاً من ذلك لم يقعد به عن أن يشق طريقه في أناة وصبر ، ولا من أن يندفع على سننه في قوة وعناد ، لا يعبأ بالتلفة ولا يضيق بالجفوة ، حتى أصاب طرفاً من نجاح فأصبح موظفاً ممتازاً في الحكومة والطوت السنون .

ثم عاودته العلة الدكيرى فأصيب بذات الرئة ، وأحس الداء يسرى في دمه فاضطربت نفسه ولا ضاقت به الحيلة وبين يديه ألف جنيه ، ورث البعض وادخر البعض ، فهو يستطيع أن يشترى الطبيب والدواء في وقت معاً ، فانطلق إلى طبيب من ذوى الصيت والعلم يطب لدائه ، ومن أمامه ألف شعاع من أمل وأمل تومن من كبرياء . ووقف بإزاء الطبيب يحدثه وأنا — ياسيدى — أدخر ألف جنيه لا أضن بها على من يسبغ على ذاتي فيضهون بالشفاء ، ولأجد في السعة بعده صبية صغار يترجون أمام ، ونحلب ريق الطبيب فلبس ثوب التملق وهو يقول « لا عليك ، فهذا داء قريب البرء عاجل الشفاء » .

واطمأن المريض لكلمات الطبيب . وأمسك الطبيب بالسماعة ليتسمع دقات جيب المريض ، ثم أمسك بالقلم ليكتب له الدواء الذي يؤجل الشفاء ويمد في عمر الداء .

واطمأن المريض إلى العلاج الذي لا يغني ولا يشفي ، على حين قد عمي عن يد الطبيب وهي تتسلل إلى جيبه في دهاء ومكر لتستلب ميراث أبيه ووفر عمره . وأحس — ياسيدى ذى بدء — أن الصحة تسرى في عروقه وتتألق على صفحة وجهه فاطمأن وهدأت جائشته ، ثم ما لبث أن شعر بالخور والفتور والضعف توشك جميعاً أن تعصف بهمته ونشاطه وشبابه ، فانطلق إلى الطبيب يستجيه عن الأمر ويسأل له الوفر ، غير أن الطبيب أمسك بالقلم — مرة أخرى — ليكتب له الدواء الذي يؤجل الشفاء ويمد في عمر الداء .

وربط المريض حياته بحبل الطبيب الذي أخذ يختله عن صحته وماله ، ووصل سببه بسببه فما يخطوى عنه إلا ريثما يعود إليه ، والطبيب ينظر إليه — في كل مرة — بعينين فيهمـــا معانى الضراوة والفتك ، يرى مريضه يتهاوى تحت ضربات المرض العاتية فلا ينبض قلبه رحمة ولا تخفق روحه بشفقة ، ثم لا يجد في نفسه إلا معانى الأرضية الوحشية تتوثب في شره تريد أن تفترس أو تلغ في الدم ، فراح يستلب مال الرجل المسكين ليتقوض بيت أو تتهدم أسرة .

والطبيب في مهنته منطق يشبه منطق القاتل أمام القضاء :

منطلق القتل والسلخ ؛ منطلق الجزار يشحذ المدية في نحر البهيمة ليشخب دمها بين يديه نضراً ثائراً يستحيل بك دار أو إلى عربة أو إلى منصة نائمة .

والطبيب — في رأي الناس — رجل فوق القانون ، لأنه يقتل بمشرط من القانون ويسلب بدعاء من القانون ويسرق بحيلة من القانون ويخدع بإذن من القانون .

وهو — في رأي نفسه — رجل يقتل الصبر والمال ليتعلم العلم الأرضي الذي يلحف على المال ويهد للسادة ويتعامى أمام الجنيه ثم هو - بعد ذلك - يترفع على الفقير والمسكين وذي الحاجة . . العلم الأرضي الذي يقاس بالقرش والجنيه ويقوم بالدرهم والدينار لا تسطع فيه روحانية السماء ولا سمو الروح .

وهو - في رأي الدهماء - روح الجنة التي تكشف البلاء ، ويد الله التي تزيح الشقاء ، وبلسم النفس التي تجد الداء .

فيا اشقاء أهل الأرض من طبيب يدفع الجسم الأرضي الذي تلتصق دواعيه - أبداً - بالتراب .

وربط المريض حبله بحبل الطبيب ، وتراخى الطبيب والمرض يستشري ويتشبث ، ومضت سنة كاملة ، استحال - من بعدها - الداء الذي كان قريب البرء إلى علة ما لها من دواء . . . إلى السل . وأحس الرجل بالسل يخترم قوته على حين قد نضب معينه وصفرت يده .

وانسابت الحسرة في قلب الرجل فهو لا يجد المال الذي يدفع به المرض ، ولا يجد الصحة التي يكسب بها المال . وهو يخشى إستاره الأحباء أن يصيبهم المرض الخبيث الذي تغلغل في رئته ، ويشفق عليهم أن ينالهم حدث الفقر ، فراح ينظر إليهم - من بعد - في رقة لا تجد متنفساً .

وجلس الرجل - ذات ليلة - إلى زوجه يحدثها حديث الداء العضال الذي كتم عنها خبره منذ أن أصابه ، فانخرطت في بكاء مر — بكاء المرأة تخشى مرارة الفاقة ولذع العوز وفقد العائل . ورأى إلى الحكومة خير المرض الذي يبرى الرجل فتقذف به إلى الشارع .

وانطلق الرجل في شدة الهم ولأواء الألم . . . انطلق إلى الطبيب يكشف له عن ضنا نفسه ويشكو قلبه فأشاح عنه بوجهه وهو يقول في غير اكتراث « الآن لا معدى لك من أن تذهب إلى مصحة حلوان » .

لا عجب فقد طرده الطبيب بعد أن استنزف ماله واستنفد وفره ، طرده لأنه نزل من إنسانيته ورجولته إلى دركات . .

وأتى الرجل السل من بيته خشية أن تنتقل العدوى إلى أحبائه : زوجه وأولاده .

ودخل الرجل المصحة حطاماً يئن من عوز ومن ضعف . ووضع طبيب المصحة يده ثم رفعها وقد اربد وجهه وقطب جبينه وتبلدت إنسانيته . جلس إلى المريض الواهي يسأله ليعرف قصة رجل شبهه طمع طبيب ليس من بني الإنسان . وأحس الرجل بالجهد والإعياء من طول الحديث فألقى بنفسه على فراش وعلى وجهه سمات الكآبة والضنا . ونظر طبيب المصحة في غيظ وإشفاق ثم قال : « آه ، لو أتى باكراً » يقول : النفس يا نفس . . ! »

ثم عزم على أن يحيى موات الأمل في نفس هذا العليل المتداعي ليكون روح صبية ستار يترجون أيامه ، فأصر على أن يستأصل الداء من جذوره ، رغم أن المريض لا يقوى على وطأة الخدر لضعفه وتهالكه . وأمسك الطبيب الطيب بالمشرط يقد صدر المريض وهو يرى ويسمع ويحس ويتألم ولكنه كظم صيحات نفسه فلم ينبس بكلمة .

وخرج المريض من المصحة ، بعد حين ، ليرى —

قال صاحبي « وخرج المريض من المصحة ، بعد حين ، ليرى الطبيب الذي غاله ماله وأسكنه من صحته ونحله من شبابه . . . ليراه ما يزال في عيادته ذئباً بين شياه ، يستمتع بالأمن والسلام لأنه فوق القانون ، يقتل بمشرط من القانون ويسلب بدهاء من القانون ويسرق بحيلة من القانون ويخدع بإذن من القانون . . . ! »

كامل محمود حبيب

عســــل النحل
بين الطب والاسلام

للدكتور حامد البدري التوابي

يقول الله سبحانه (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون، ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) صدق الله العظيم.

هذا هو إعجاز القرآن لا من جهة أسلوبه وما يملك من قوة وأسر وروعة فن؛ إنما هو إعجاز كشف الله به حجاب الغيب.

فتأمل النحل وأحوالها، وممالكها وأسرابها، وانظر إلى بيوتها وخلاياها مسدسة أشكالها، متقاربة أوضاعها، محكماً صنعها يتقنها بغير مقياس أو آلة، إنما ألهمها ربها فنها، وأوحى لها أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون، فأطاعت أمر ربها، واتخذ فريق منها بيوتها في بعض الجبال شقوقاً، واتخذت طائفة أخرى التجويفات في الأشجار بيتاً ومأوى، كما اتخذ فريق ثالث بيوت الناس حيث يعرشون أي حيث يبنون لها العروش.

ولكي نفهم هذه الآية حق الفهم، يجب أن نعرف شيئاً عن النحل وممالكه ونظامها فهي مملكة ذات نظام وتنسيق، وقد أولع بها العالم (ميترلنك) فصنع خلية من الزجاج راقب فيها أفرادها فرأى عجباً أنطق لسانه بالإقرار بقدرة الخالق

كل فرد في هذه المملكة له عمل، لا تقاعد ولا كسل، وهذا النشاط في الخلية أصبح يضرب به الأمثال، مما دعا أحد الحكماء في نصحه لتلاميذه أن يقول (كونوا كالنحل في الخلايا فهي لا تترك عندها متبطلاً إلا نفته وأبعدته وأقصته عن الخلية لأنه يضيق المكان ويفني العسل ويعلم النشيط الكسل) وهذا ما تفعله عاملات النحل بالذكور إذا أقبل الشتاء ببرده القارس واستعدت الخلية للبيات فتنقض على الذكور فتقتلها.

أجل !! إن الإنسان قد أخذ من النحل في نشاطها المثل، فالنحل دوي ولكن بعمل، والإنسان قد تسمع له جعجعة ولا ترى طحناً.

وأفراد الخلية يطيعون الملكة ولا يعصون لها أمراً، وهي ملكة واحدة وظيفتها وضع البيض وتدبير العسل وتوزيعه على بقية الأفراد، ورحم الله شوقي حيث قال:

يا لها أنثى ملكها ... وما أجمل خطره
قف سائل النحل به ... بأي عقل دبره
يجيبك بالأخلاق وهي ... كالعقول جوهره
تلك قوى الأخلاق ما ... تبني القرى المفتكرة
ورفع الله بها ... من شامخ الحشرة

ثم توجد في هذه المملكة بضع مئات من الذكور وظيفتها التلقيح، ثم توجد عدة آلاف من العاملات التي يدور عملها حول العسل، فمنها التي تبني عيون الشمع بترتيب هندسي منتظم يعجز عنه الفنان الماهر، وفي هذه العيون يخزن العسل وتضع الملكة البيض، ومنها التي تجمع الرحيق فتحوله بطريقة خاصة في معدتها عسلاً ثم تلفظه شراباً فيه شفاء للناس، هو الشهد الصافي والسكر المكرر، ومنها التي تحمل الماء، ومنها الخادمات عن الخلية، فتمنع من يعتدي عليها سواء كان إنساناً أو حيواناً أو حشرة أو نحلة غريبة من خلية أخرى، ومنها ما تشتغل بتنظيف الخلية من الداخل إلى آخر ما يرى من نظام في النحل عجيب وترتيب وتنسيق. والآن نتمم الكلام عن هذه الآية الكريمة، فبعد أن أوحى الله إليها بمسكنها قال (ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً) فالنحل تسلك في الوصول إلى الحقول حيث الثمرات طرقاً ملتوية، ولكنها لا تضل على بعدها السبيل إلى الخلية، بل هداها الله أمراسها، وآتاها أبراجها، وجعل سبلها سهلة ميسرة، فقد تسلك بضع كيلومترات ولكنها لا تضل طريقها، وبعد أن ترتشف من الأزهار رحيقها، تردّه عسلاً صافياً يخرج من بطونها مختلفاً ألوانه بين الأحمر والأصفر والأبيض، وذلك باختلاف الرحيق الذي ترتشفه، فإنها إن ارتشفت من أزهار البرسيم مثلاً، كان العسل ناصع اللون، وإن وقعت على بعض أزهار الفاكهة كان العسل أعمق لوناً

العسل من وجهة الدين

قرر القرآن الكريم أن الشراب الذي يخرج من بطون النحل شفاء للناس من أدوائهم. وحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال (العسل شفاء من كل داء ، والقرآن شفاء لما في الصدور ، فعليكم بالشفاءين العسل والقرآن) هذا وقد عالج رسول الله شكاة البطن بالعسل إذ جاءه رجل فقال إن أخي يشتكي بطنه فقال اسقه عسلا ، ثم أتاه الثانية فقال اسقه عسلا ، ثم أتاه الثالثة فقال اسقه عسلا ، ثم أتاه فقال قد فعلت . فقال صدق الله وكذب بطن أخيك . اسقه عسلا فسقاه فبرئ .

والآن سنرى أن الطب يرى في عسل النحل ما قرره القرآن من قبل ، ويقر علاج الرسول لشكاة البطن .

العسل من وجهة الطب

وقبل أن نتكلم عن فوائد العسل الطبية نذكر طرفا من تركيبه الكيماوي :

العسل به ١٦ ٪ ماء ، ومن ٣٠ — ٤٥ ٪ سكر فواكه (ليفيلوز) ، ومن ٢٥ — ٤٠ ٪ سكر عنب (جلوكوز) ، و ٩ و ١ ٪ سكر قصب ، وحديد وبوتاسيوم وصوديوم وكبريت ومغنسيوم وحامض فوسفوريك وحامض فورميك ومواد عطرية ٥ر٣ ٪

فنرى أن العسل يحتوي على مواد يحتاج إليها الجسم كالحديد والفوسفات وغيرها بخلاف ما فيه من سكريات .

أما الجلوكوز الموجود فيه فهو بيت القصيد ، فهو يعطي الآن في الطب دواء وحقنا تحت الجلد وفي الوريد ويعطي حقناً شرجية أيضا كغذاء ومقو ، وهذه الحميات كالتيفود وغيرها ، وهذه النزلات المعدية والمعوية وما يكتنفها من قيء وإسهال ، وهذه الأمراض المزمنة كضعف القلب ، وهذه التسممات من احتباس البول مثلا أو من مواد خارجية كالزرنيخ ، كل هذه الأمراض يفيدها الجلوكوز ويسير بها إلى طريق الشفاء .

وكم رأينا من مريض منع في علاجه من الأطعمة ، فكان سكر الجلوكوز هو الغذاء والدواء ، فهو سهل في امتصاصه سريع في فائدته .

وكم رأينا من طفل صغير أصابته الإسهالات التخمرية من استعمال المواد السكرية ، فلما وضع له العسل في اللبن بدلاً من السكر ، استفاد جسمه وتحسنت حالته ، حيث أنه سهل هضمه ، سريع امتصاصه ، فلا يجهد المعدة في تحليلها ، ولا الجدار في تحويلها ، كما أنه لا يسبب غازات بالأمعاء . وتلك ميزة عظيمة من ميزات العسل .

هذا فضلا عن أن العسل لا يتلف الأسنان كالمواد السكرية ، بل إنه لتعالج به اللثة في الأطفال عند التسنين ، وذلك بأن تمسح اللثة المحتقنة بالعسل ، وما معظم الأدوية المسكنة للثة إلا ويدخل في تركيبها عسل النحل .

وكم رأينا من مريض بالبول السكري وهو من احتمى في غذائه عن السكريات ، إذا أصيب بغيبوبة من تسمم السكر كان الجلوكوز مع الأنسلين هو الدواء الوحيد المنقذ ، وكأنما يسري عليه القول (وداوها بالتي كانت هي الداء)

حتى إن أولاد مرضى السكر عند ولادتهم يعالجون بالجلوكوز ، فإن الأم المريضة بالسكر يولد طفلها ونسبة السكر في دمه قليلة في الساعات الأولى من حياته ، فيعطي سكر الجلوكوز فوراً لتعويض هذه القلة بمقدار خمس نقط في الفم من محلول جلوكوز خمسين في المائة كل نصف ساعة في الست ساعات الأولى من حياته ، وإلا فانه يكون عرضة للموت نتيجة قلة السكر في الدم .

وللعسل تأثير ملطف يزيد في إفرازات الفم فيفيد في حالات صعوبة الابتلاع وجفاف الزور وفي حالات السعال الجافة ، ولذلك أدخل طبياً في تركيب كثير من الغراغر وأدوية السعال ، وكان يصفه (جالينوس) في آلام الصدر ، وسبق أن أرشد النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال (نعم الشراب العسل يرعى القلب ويذهب برد الصدر)

والعسل ملين لطيف ، فابدأ صباح كل يوم بتناول ملعقة كبيرة منه تسعد غذاء وتجد فيه ملينا .

وقد أثبتت التجارب التي عملت بمعهد باستير أن كيلو العسل يفيد الجسم بما يوازي ٣ ونصف كيلو لحم و ١٢ كيلو خضروات .

الغزالي وعلم النفس

للأستاذ حمدي الحسيني

الأمراض النفسية

- ٨ -

في الإنسان قوة اختلف علماء النفس في تسميتها ؛ فبعضهم يسميها قوة الحياة أو القوة الدافعة أو إرادة القوة أو الليبيدو ، وهذه القوة على كل حال تدفع الإنسان إلى الاحتفاظ بحياته وتحفزه إلى أن ينعم ببركات الحياة من الغذاء والسلامة وتخليد النوع. وفي الأزمنة الغابرة كان سهلا على الإنسان أن يحصل على مطالبه الضرورية المحدودة كما تقتضيه غرائزه وميوله. أما بعد أن تقدمت الحضارة وأصبح المجتمع يقضي على الإنسان بالخضوع لآداب وقوانين وعادات وتقاليد كثيرة لم يعد الإنسان قادراً على أن يطلق الحرية لغرائزه ورغباته وميوله وأمانيه.

بل اضطر أن يقمع كثيراً منها ويكبتها في قرارة نفسه كلما حاولت الظهور بمظاهر لا يرتضيه المجتمع أو يضر بحسن مركزه أو سلامته فيه، وبذلك قام في النفوس صراع شديد بين ما يتطلبه المجتمع وبين ما يتطلبه الفرد. إلا أن كل رغبة تكبت وكل غريزة تخمد لا تموت بل تنزل إلى قرارة النفس وتنحدر إلى أعماقها الغائرة. وتبقى هناك حية جادة في الخفاء تحرك المرء وتدفعه نحو سلوكه أو تحدث له من السلوك الشيء الكثير عن غير علم منه ببواعث هذا السلوك أو هذه العلل. وقد تحاول هذه الدوافع أن

والعسل معقم ومضاد للفساد لأن أي ميكروب لا يستطيع أن يعيش فيه طويلا إذ أن درجة تركيز العسل تجذب الماء من أجسام الجراثيم فتبيدها.

وقد يسأل سائل لماذا لا يكون في الفواكه التي تشبه العسل في طعمها ، ما في العسل من الفائدة؟ فنقول إن السكر الذي بها هو سكر القصب أو أنواع أخرى ليس لها ما للجلوكوز من مميزات علاجية ؛ كما أن الفواكه لا تحتوي من الجلوكوز إلا على نسبة ضئيلة لا تغني شيئاً.

ولا يفوتني هنا أن أنوه بسائل آخر يخرج من بطون النحل من مؤخرة الجسم عن طريق آلة اللسع وهو سم النحل ، جعل فيه شفاء لبعض الأمراض ، إذ قد استعمل النحل بطريق الصادفة مريضاً بالروماتزم بجوار مفصل المريض وكان عجيباً أنه شفي بعد اللسع ، فلذلك هذا حض العالم إلى إجراء أمثال هذه التجارب على مرضى الروماتيزم واللمباجو (روماتيزم في الجزء القطني من الظهر) والسياتيكا (عرق النسا).

ثم هناك الشمع الذي تفرزه النحلة من غدة خاصة بين حلقات بطنها ، فيخرج أولا كصفائح رقيقة صلبة تمضغها النحلة في فمها وتعضها فتلين من صلابتها ويسهل بذلك تشكيلها في صنع الحجرات الصغيرة السداسية ذات الشكل الهندسي الرائع

وقد استعمل الشمع قديماً في صناعة شموع الإضاءة وحديثاً في الطب كأساس في صنع المراهم والدهانات الرطبة (السكريم).

وأخيراً وليس آخراً جرب الدكتور الأمريكي (ابكارث) علاج لسعة النحل بمسحها بالعسل فهبط الورم وسكن الألم.

سبحانك اللهم ، ألهمت مملكة النحل فبرت ماسكها وأطعمت جندها ، ألبستها الخيرات وأطعمتها الزهرات وسخرتها للناس بالعسل طاهيات ، فهي إن دوت دوت ، وإن طعمت أطعمت وإن لسعت نفعت.

فهل رأيت النحل من أمانة مقصره
ما اقترضت من ثمرة أو استمالت زهره
أدت إلى الناس به سكرته سكره

سبحانك ربي هذا كتابك شفاء نافع ودواء ناجع ولكن ما أقل المستشفين به ، وهو علم ونور يقف أمامه الجهد المفكر وقفة الأخيذ الحيران وإلا فهل كان عند نزول القرآن منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا يعرف ما في عسل النحل من مركبات وهي لم تعرف إلا حديثا ، أم كان يعرف الجلوكوز وأنه سيستعمل يوماً ، دواء للأدواء، ولكنه علم من هو فوق كل ذي علم عليم.

وإلى فرصة أخرى لتوالي أحاديثنا من الطب والإسلام تذكرة وعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الدكتور حامد الغوابي
طبيب أول مستشفى رعاية الطفل بالجيزة

تجد لها منفذاً إلى الشعور فيمنعها المرء بإرادته ويقبض عليها من نفسه دفعاً هو الضمير ويردها إلى اللاشعور فترجع خاسئة مهزومة ولكنها لا تلبث حتى تتحفز إلى الظهور ثانية وثالثة.

فكأن هناك مصارعة نفسية مستمرة بين الهوى والعقل تنتهي غالباً بمرض عصبي أو شذوذ في السلوك وهذه الثنائية والمصارعة بين ما تقتضيه أهواء الإنسان وميوله وبين ما تقتضيه البيئة تحدث كل يوم وفي كل إنسان من بداية نشأته إلى مماته.

وقد تنبه العلامة الغزالي رحمه الله إلى هذه المعركة الهائلة في النفس الإنسانية وتتبع أسبابها ونتائجها وأهدافها ومراميها فعرف جلية أمرها وحقيقة حالها معرفة لا تقل قيمة وخطراً ولا دقة وانتهاءاً من المعرفة التي وصل إليها علماء العقل الباطن في زماننا هذا.

يرى الغزالي يشبه العقل بقبة مضروبة لها أبواب تنصب إليه الأحوال من كل باب، أو بهدف تنصب إليه السهام من الجوانب، أو مرآة منصوبة يجتاز عليها الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة، أو بحوض تنصب فيه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة إليه وإنما مداخل هذه الأنهار المتجددة في العقل في كل حال، أما من الظاهر فالحواس الخمس، وأما من الباطن فالخيال والشهوات والغضب والأخلاق المركبة من مزاج الإنسان فإنه إذا أدرك بالحواس شيئاً حصل منه على أثر في العقل وإن كف عن الإحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء إلى شيء، وبحسب انتقال الخيال ينتقل العقل من حال إلى حال آخر. والمقصود أن العقل في تغير وتأثر دائم من هذه الأسباب. وأخص الآثار الحاصلة في العقل هو الخواطر وأعني بالخواطر ما يحصل في العقل من الأفكار وأعني به إدراكاته علوماً. إما على سبيل التجدد وإما على سبيل التذكر فإنها تسمى خواطر من حيث أنها تخطر بعد أن كان العقل غافلاً عنها. والخواطر هي المحركات للإرادات فإن النية والعزم والإرادة إنما تكون بعد خطور المنوى بالبال لا محالة. فمبدأ الأفعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الأعضاء. والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أي إلى ما يضر وإلى ما يدعو إلى الخير أي إلى ما ينفع، فهما خاطران مختلفان فافتقرا إلى اسمين مختلفين، فالخاطر المحمود يسمى إلهاماً والخاطر المذموم أعني الداعي إلى الشر يسمى وسواساً إلى أن يقول: ثم إنك تعلم أن هذه الخواطر حادثة. ثم إن كل حادث لابد له من محدث. ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الأسباب. ومهما استنارت حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه واسود بالدخان علمت أن سبب السواد غير سبب الإنارة وكذلك لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان

فسبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكاً وسبب الخاطر الداعي إلى الشر يسمى شيطاناً. واللطف الذي يتهيأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقاً والذي يتهيأ به لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء وخذلاناً.

هذه صورة واضحة الأجزاء بينة الجوانب زاهية الألوان يعرض الغزالي بها في صراحة ووضوح وترتيب واتساق الرغبات المتصارعة في النفس الإنسانية من جراء القيود الكثيرة التي تفرضها بها البيئة الاجتماعية وهو يسمي ولا شك العقل - العقل بجزأيه اللاشعوري والشعوري - معتبراً خواطر العقل الباطني خواطر شر أو هي الشياطين التي تغري الإنسان بتحقيق رغباته الغريزية الإيجابية المتصادمة مع مقتضيات المجتمع، ومعتبراً خواطر العقل الواعي خواطر خير أو هي الملائكة التي توقظه لما فيه خيره ونفعه وليس غريباً أن يعتبر الغزالي الرغبات الغريزية والميول الفطرية التي تتنافى مع مقتضيات المجتمع - ولاسيما من الوجهة الدينية - شروراً وآثاماً ضارة وشياطين موسوسة ومغرية، وأن يعتبر تحفظات العقل الواعي أو الضمير الاجتماعي ملائكة تلهم التوفيق وتدعو إلى الخير والنفع العميم.

ولم يبث الغزالي في هذا العرض المبدع النفسية التي تحاول فتح باب الشعور لرغبات العقل الباطن المكبوتة. وقد أدرك ما في هذه الناحية من حياة الإنسان النفسية من غموض وصعوبة فهم فقال - يعني أن يعلم أن الخواطر تنقسم إلى ما يعلم قطعاً أنه داع إلى الشر فلا يخفى كونه وسوسة، وإلى ما يعلم أنه داع إلى الخير فلا يشك في كونه إلهاماً، وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من الملك أم من الشيطان فإن من مكايد الشيطان أن يعرض الشر

في معرض الخير والتمييز، وهذا ناهض إلى أن يقول. وأغمض أنواع العلوم المعاملة الوقوف على خدع ومكايد الشيطان. ولنقل لأن هذا التشبيه الجميل الذي وضعه الغزالي العقل الواعي بالنسبة للخواطر اللاشعورية أو رغبات العقل الباطن يقول – العقل مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه، ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه. فحماية العقل عن وسواس الشيطان واجبة.

أما الأبواب التي يذكرها الغزالي أنها مداخل الشيطان إلى العقل فهي الغرائز، يقول: من أبواب الشيطان العظيمة إلى العقل الغضب والهم والطمع والحقد.

ويعجبنا تنبه الغزالي إلى تأثير كبت الرغبات الغريزية في اللاشعور كيما يحدث مرضاً عصبياً أو تسامياً؛ ويعجبنا أيضاً من الغزالي هذا السؤال الذي طرحه على نفسه ليجيب عليه وهو هل يتصور أن ينقطع الوسواس بالكلية عند الذكر أم لا.

لاشك أن الغزالي عرف جيداً أن الرغبات الغريزية المكبوتة في اللاشعور لا تنقطع عن العمل بل تظل تعمل في صميم النفس وقرارة العقل الباطن أعمالا تسبب أمراضاً نفسية وعصبية منها الوسواس، أو تسبب تسامياً تتقى به النفس ألم الكبت ومضاضة الحرمان. ويجمل بنا أن نورد هنا ما يقوله الغزالي جواباً عن هذا السؤال يقول:

إن العلماء المراقبين للعقول من صفاتها وعجائبها اختلفوا في مسألة انقطاع الوسوسة بالذكر؛ فقالت فرقة: الوسوسة تنقطع، وقالت أخرى: لا ينعدم أصل الوسوسة ولكن تجري في العقل ولا يكون لها أثر لأن العقل إذا صار مستوعباً بالذكر كان محجوباً عن التأثر بالوسوسة، وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا آثارها ولكن تسقط غلبتها على العقل. والوسواس أصناف فقد يكون بتلبيس الباطل ثوب الحق، وقد يكون بتحريك الشهوات، وقد يكون بمجرد الخواطر.

ومن هذا تبين لنا جلياً أن الغزالي يعرف جيداً أن الوسوسة مرض نفسي لا يزول بذلك النوع من العلاج وهو الذكر، وكل ما يفعله الذكر في هذه المشكلة النفسية أو الوسوسة هو تخفيف وقعها وتقليل شرها. ونحن نرى الغزالي في هذه الناحية عالماً نفسياً أكثر منه واعظاً دينياً أو عالماً أخلاقياً.

وكان الغزالي قد عز عليه أن يعرف أسرار النفس البشرية ولا يعرف العقد النفسية أو المركبات الناقصة فقد وضع يده على هذه العقد والمركبات وضع الخبير العارف قال – إن القلب تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب إليه الآثار والأحوال من الأبواب التي وصفناها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب.

فإذا أصابه شيء يتأثر به أصابه من جانب آخر ما يضاده فتغير وصفه، فإن نزل به الشيطان فدعاه إلى الهوى نزل به الملك وصرفه عنه، وإن جذبه شيطان إلى شر جذبه شيطان آخر إلى غيره، وإن جذبه ملك إلى خير جذبه آخر إلى غيره. فتارة يكون متنازعاً بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان. وأي قول أبلغ في وصف العقد النفسية والمركبات الناقصة من هذا القول. وسنبسط هذا الموضوع في المقالات القادمة إن شاء الله

صبري الحسيني

من أعماقنا

ردود الرسائل

للأستاذ محمد رجب البيومي

ينتقل الإنسان في حياته من مكان إلى آخر، ويترك قوما ليحل بين قوم، وفي ما تتطلبه شواغل الحياة، وهو في كل ناحية يقيم بها حينا من الدهر، يتخذ لنفسه أصدقاء يقاسمهم الود ويخلص لهم النصح، وقد يبسط لهم جناح المودة إلى وقته الله إلى معروف، ثم تمضي الأيام فيجد نفسه مضطرا إلى فراق زملائه ليستأنف عملا جديدا في مكان آخر، فيودعهم ويودعونه حاملا بين أطواء نفسه من الذكريات الطيبة ما يذله أن يستعيده بين الفينة والفينة، والإنسان أقوى الحيوانات جميعها على التذكر والاستعادة، فجميع الحيوانات – غيره – تنسى ما يعترضها في الحياة بعد انقضائه بأيام أو أسابيع، أما الإنسان وحده فيحتفظ في مخيلته بذكريات يرجع بها إلى الطفولة والمراهقة مهما امتدت به السن في طريق الحياة، فيستطيع أن يسرد للغير أنباء طال عليها العهد، ولكنها لم تفقد مرآتها الواضحة في خاطره، وقد يسبح به تفكيره فيتمثل إخوانا شاطرهم الود، ولاقى منهم المعروف، فيحن إلى ما تقدم من عهودهم الماضية، ثم يندفع به الحنين إلى مراسلتهم والوقوف على أنبائهم، وفي المراسلة تثبيت للمودة على البعد، وتقوية للمحبة في النزوح، فهي تقرب الشاسع، وتقضي مسافة النائي، وعبارة قاصرة إلى ما خلفه الأدب العربي في تراثه الثمين من الرسائل الإخوانية تريك العجب العجيب، فقد ازدحمت الموسوعات الأدبية بتحف خالدة من الرسائل، وهي فوق مكانتها العالية في البلاغة والبيان، تدل على الشعور الطيب الذي حفز أصحابها لتسطيرها وإنشائها، وتنبئ عما ينطوون من إخلاص في الحب، وصدق في الوفاء، وإخلاص الود، وسلام ناصع يزين به، فهو الدليل الصحيح على مروءته ونبله، كما يبرز للناس معدنه الحقيق دون بهرجة وتزييف!!

ونحن في عصرنا الحاضر نغرق في أعمالنا المادية إلى آذاننا، وتستهلك أوقاتنا جميعها فيما نأمل منه النفع والمكسب، فلا يجد الكثيرون وقتا صافيا للمراسلة في زعمهم، وقد يتطوع بعض من جبلوا على الوفاء والبر، بالسؤال عن أصحابه، فيسطر الصحيفة الحافلة إلى من يصافيه، وتمضي الأيام فلا يجد ردا يسعده بأنباء صاحبه، فيسطر رسالة أخرى مبقيا على ما يدخره من محبة وود، فيأبى الرد أن يعود إليه أيضا!! وأنت تعجب حين تسمع من يرددون هذه الشكوى في أسف وحيرة، بل إن العجب ليبلغ منك أقصاه حين تقابل في الطريق من بعثت إليه رسائلك، فيخبرك أنه حظي بقراءتها، وأنس بلقائها، غير أن ظروفه الخاصة لم تمكنه من الرد السريع!! وكأنه لا يجد خمس دقائق يسطر فيها فوق قرطاسه ما يحتمه الواجب اللازم، وإذا كان من الأمور المحببة أن تحيي زميلك في الطريق تحية عابرة، فلا يرد عليها أجل رد، فكيف عن تذكره على البعد؟ فتسطر إليه أنباءك وتسأله عن أنبائه ثم لا تظفر بعد ذلك بخطاب مريح!!

هذه مشكلة خلقية ألبة، تدل دلالة واضحة على ما يغمرنا من تدابر وتقاطع، وتنبئ عما ينقصنا من يقظة ووعي، وهي كجميع مشاكلنا الاجتماعية ناجمة عن إهمال التعليم الخلقي في محيطنا المدرسي، فنحن في معاملاتنا الشخصية لا نتقيد بحدود واضحة المعالم، بينة الصوى، فندرس الأخلاق دراسة عملية، ونطبقها تطبيقا ملزما واعيا، بل نتقيد بقشور تافهة نقرأها ولا ننفذها في أكثر الأحيان، وأقول – في صراحة – إنه ليست لدينا حدود خلقية، تلقن في المدارس، وتذاع في الصحف، وتتداول بين الناس، ولكننا نطبع علاقاتنا الاجتماعية بطابع التقليد والمحاكاة، فالصغير يقلد الكبير، والمتأخر يحاكي المتقدم، إذا يعيش معه في محيط واحد، ولا عليه إذا أخطأ بعد ذلك، فقد وقع في الخطأ من يفوقه ويكبره! وحسبك أن تكون زلة الكبير دفاعا مقنعا يتقدم به الصغير، وحال كهذه الحال يجب أن تزعزها العواصف الهوج

وواضح أن البريد في عهدنا الحاضر قد قطع أبعد أشواطه في ميدان السرعة، حتى ليمكن الإنسان أن يراسل أخاه وراء

لأجيال الناشئة . والمسافات التماسية ، فتصله الرسالة في اليوم الذي كتبت فيه بأجر لا يقوم له اعتبار . ثم لا تستحق هذه الأداة الطيبة في توثيق العلائق وتقوية الروابط بمجتمع مفكك مقدار . وليت شعري كيف نكون لو تقدم بنا الزمن قرونا عدة ، ورأينا العهد الذي يقطع فيه البريد شهورا وأسابيع حتى يقع في متناول صاحبه البعيد ، وقد تجد أثناء هذه المدة ظروف تقلب أنباء الرسالة وصاحبها رأسا على عقب ، والمرء قليل بنفسه ، كثير بإخوانه ، فإذا قطع صلته الأخوية ، بمن أنس اليوم حينا من الدهر ، وسعد بلقائهم فترة طويلة ، فسيخسر الشيء الجليل . وكثيرا ما أقع في حيرة محجلة حين يقابلني أحد الزملاء فيسألني عن صديق يعرف ما كان بيني وبينه من الود الأكيد فلا يجدني ملما بأنبائه وأخباره ، وكأننا لم نتقابل قبل الآن ، أو أطول اجتماع لم نبت ليلة معا — كما قال متمم — وإن أوجه الكلام تتشقق في وجهي حين أهم بإجابة هذا السائل ، فماذا عسى أن أقول له ؟ أأخبره أني راسلته متسائلا عن أنبائه فلم أظفر برد ؟ أم أظهر أمامه مالا فائدة فيه من أنني لم أتصل به منذ فارقته ؟ أم أبسط بأيسر ما يشعر بجحودنا الخلقي من تقصير وإهمال ؟ ترى ماذا يكون ؟ وأنت تبحث عن سبيل العذر في تقصير النفس فلا تجد مجال ، بل إن أهل الفراء أن هؤلاء لا يقنعون بتعبير من متيقظ ، وأن من لا يرد التحية بأحسن منها جدير أن ينسلخ من ثياب الإنسانية . وإن وصل الكلام على إطلاقه ، فنحن نعلم أن من الرجال من تتزاحم أمامهم الرسائل ، وتتكدس فوق مكاتبهم الخطابات ، فلا يجدون في فراغهم الضيق ما يكفي للإجابة والتعليق ، وهؤلاء في العادة لا يقصرون في حقوق من اتصلوا بهم اتصالا شخصيا ، وعرفوهم معرفة وثيقة ، وإنما يترسلون في جانب من يشغل فراغه بمراسلة العظماء والموهوبين في غير طائل ، وهم معذورون في هذا التفريط إذ فقدت الرابطة الشخصية ، وضاق الوقت عن الإجابة المحيطة ، فلا تؤاخذهم في ذلك ، وإنما تؤاخذ من يقصر في حقك ، وقد خالطته بنفسك ، وأفضى إليك — يوما ما — برغباته وخلجاته ثم فرق بينكما الزمن ، فنسي أمسه ، وفرغ ليومه ، وتجاهل حقوق المودة ! ذلك عيب شنيع .

ونحن نتكلم هنا عن الرسائل الصادقة الخالصة لوجه المودة والوفاء ، فلا نتحدث عن الرسائل النفعية ، التي يقصد بها أصحابها قضاء أرب مادي ، أو استغلال نفوذ شخصي ، فالسكوت عنها — في بعض الحالات — يجد مبرراته وظروفه ، وإن كان الأجدر بصاحب الخلق الرفيع أن يبذل حسب طاقته في نفع أصدقائه ، ما لم يؤد به مسعاه إلى ضرر إنسان ما ، فإذا لم تسعفه الشفاعة المرتقبة ، أعلن أسفه إلى صاحبه في رسالة صادقة ورب خطاب رقيق أراح الضمير وأثلج الصدر ، وإن لم يعد بالثمرة المشتهاة .

إن من المؤلم حقا أن تنقطع الروابط بين الناس لمجرد ابتعادهم من مكان إلى مكان . ويزيد في الألم أن تكون وسائل الاتصال في متناول اليد دون أن تجد من يحرص عليها ، والمرء في خضم الحياة تقذف به الشدائد كل القذف ، والمعضلات المؤرقة ، فهو في حاجة ماسة إلى المشورة والاستفتاء ، ومن الطبيعي أن يراسل أصدقاءه مستفسرا مستفتيا ، فقد يجد لديهم الحل المريح في غير عناء ، ومن المضحكات أن المرء في أغلب أحواله — كما قال الحزين — يرى الرأي المجرد صائبا بصيرا ، وتخطفه الحيرة فلا يراه لنفسه إلا بعد مشقة وجهد . وتساؤل هذه الظاهرة سهل يسير ، فالإنسان — إلا من عصم الله — شديد الخوف على نفسه ، يظن الريبة والخطر في كل ما يقدم عليه ، فلا يكاد يخطو خطوة واحدة حتى تتقاذفه الحيرة من سبيل إلى سبيل ، لكن صديقه — في الثالث — أقدر منه ثباتا وعزما ، فهو ينظر إلى المشكلة بعين الواقع ، طارحا ما يتراءى من الشكوك دبر أذنه ، ولا شيء يدلك أنه قليل المبالاة ، إذ يفترض الرفق من مصاحب ، بل نفترض فيه اليقظة والحذر مع أعصاب هادئة وجنان مطمئن ، وإن عاطفة « اعتبار الذات » لتبدو من الإنسان فتشمل ذويه وأصحابه ، وتدفعه إلى المشورة السديدة والمساندة المخلصة ، فأولى بالعاقل أن يلجأ إلى أصحابه على البعد ، يبثهم النجوى ، ويبسط أمامهم المشاكل ، وأولى بهم أن يسارعوا في إيضاح الغامض وحل المشكل ، فستدور عليهم الدائرة يوما ما ، ويحتاجون إلى من يشاورونه ويناشدونه ، وفي ذلك تخفيف صريح لما تمتحن به الإنسانية من ويلات ، وإن مجتمعا يتضافر

رسالة الشعر

قصة شريد !

(إلى الذي سحقت به الأقدار من حياتها وحياتي قصة هذا الشريد !)

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

كان شريد سائراً في فلاة مضيع الخطو، شريد الآمال
يبكي ويشكي في يديه الحياة مما يلاقيه، ويبكي الزمان

* * *

يمشي على الرمل وناره الهجير نشوان حتى تراءى لقاءه !
حيران قد أضناه طول المسير ويشتكي، لكن تضيع الشكاة !
ولم يكن يدري لماذا يسير ؟ ولا إلى أين ستمضي خطاه !

* * *

في الليل، والليل رهيب الظلام تراه يسري وحده مجهدا
كأنه روح ثوى في حطام أطلقه من قبضتيه الردى

* * *

وحين تهوي الريح مثل الذئاب ويستبد البرد بالبائسين
(وهي تجري هائمة) في الشعاب يبحث عن مأوى ثوى أمين
وأين ؟ لا مأوى تجاه الصعاب قد حرم المأوى على الشاردين !

* * *

سأمان يبكي حاره الظلال ويشتكي للوحشة الناحلة
ظمآن يسقيه سراب الرمال نار الأسى والحسرة القاتلة

* * *

كم صاح بالأقدار في محنته : هلا رحمت البائس الشاردا ؟
فأقصيته من صدى صيحته صمتاً عميقاً ساخراً خالدا
وما على الأقدار من شقوته وليس إلا في الورى واحدا !

* * *

وحيث ألقى عبئه واستراح أو هكذا كان يريد الشريد
صاح به صوت خفي الصياح يوشك أن ينفد منه الحديد :

* * *

قم أيها العبد القليل اليقين وسر على الصحراء سير الأسير !
ولا تسل عن غاية السائرين فإنها سر طواه الضمير !
قد يخفى السر عن العارفين فهل ترى الجاهل يدري المصير ؟

* * *

فقام يمشي وهو باك طريد مستعذب الخطو، شق الطريق !
كما يرى السادة يمشي العبيد حتى على الشوك ! ولو في الحريق !

* * *

ومرت الأيام مثل الصدى مرونة الأول والآخر
يماثل الفائت منها الغدا والغائب المأمول كالحاضر
والشارد المسكين يحيا سدى كريشة في عيلم زاخر

* * *

وبينما كان يسير الغريب مستغرقاً في صمته ذاهلا
والقيظ بحر موجه من لهيب لا تبصر العين له ساحلا

* * *

رأى على الأفق البعيد القريب شبحاً تبدى جاثماً باسمه
رواءه منها نسيم رطيب ونفحة من عطرها فاغمه
فراح يعدو مستثار الوجيب مستبشراً في نشوة حالمه

* * *

وحين وافى الجنة الساحره رأى ... وما أعجب ما قد رآه !
ما صورت أحلامه الشاعره وقد سرى فيه ربيع الحياه

* * *

ماء شهي الورد كالسلسبيل كأنما منبعه في السماء
يضمه عشب ندي جميل يمازج الظل عليه الضياء

أبناؤه على السد، ويحتشد أبناؤه تحت لواء التضحية والإيثار، لجدير أن ينعم بالأمن والاستقرار.

هذه خواطر خاطفة تجول بنفسي من وقت لآخر حين أواجه من أعتقد فيه الوفاء والمودة، فأراسله محييا مكرما، فعتب صلة وارفة تفيأنا معا ظلالها الوريفة حقبة طويلة، ثم أجد التجوز في الرد حينا، والتراخي من الإجابة حينا، وقد لا أجد رداً بالمرة، فأسائل نفسي في حيرة عرمة، أليس هؤلاء نفوس فتستعيد الذكريات، وقلوب تستشعر اللوعة، وعواطف يذكيها الشوق !! ثم أغمض عيني وأنهض بالبارودي فأستمع قوله الحزين

فيا ساكني الفسطاط ما إن كتبتنا ثوت عندكم شهراً، ولم يأتنا رد
أفي الحق أنا ذاكرون لعهدكم وأنتم علينا ليس يعطفكم ود
فلا تحسبوني نائلا من ودادكم روياً، فما في مهجتي حجر صلد

(المنصورة) محمد رجب البيومي

وفوقه يسرى النسيم العليل

وعنده الأزهار قد أبدعت
وهذه الأشجار قد أينعت

والطير تشدو بالغناء البديع
كأنما تبصر طيف الربيع
دنيا من الحسن الذي لا يشيع

لما رأى الشارد هذا الجمال
فراعه ما أطلعته الرمال

قد حجبت عنه الجمال الحبيب
ورنّ في الصحراء صوت رهيب
من أيها الشارد فوق الكثيب

لن تدخل الجنة مهما بغيت
ولن ترى أمثالها ما حييت

اتبعها هيهات يا ابن السبيل
أما ترى الأشجار مثل النخيل
قد أزف البين، وحان الرحيل

فأجهش الشارد مستنجدا
يا أيها الصوت الرهيب الصدى

قضيت عمرى في سعير الألم
وكان قلبي هائماً في الظلم
وكم تمنيت حياة العدم

وعشت في الصحراء عيش الهوان
أهتف: أين الحب أين الحنان؟

وكنت أمشي مستطار الفؤاد
شريداً في الآل، ووادي القتاد
وكان لي قوتان: هما السواد

وكان لي في كل وقت حنين

مرنح العطر، شجى الغناء

تصورها قدرة رب الوجود
غارها، تحمل سر الخلود

تنبت الحب، وتذكى الحنين
إذا تراءى من خلال السنين
ولا تراه العين في كل حين

هفا إليه مستهام الجناح
من غابة أشواكها كالرماح!

فما يرى إلا خيال الفناء!
فارتجفت اليد لهول الأداء!
هاتت من عبيد القضاء

ولو تحطمت سهام القتاد
فما خلقنا مثلنا في البلاد

فلذهب لكى نبحث عن غيرها!
أمثالها وقف على طيرها!
فسر مع الأيام في سيرها!

وقال في صوت كرجع الأنين
رفقاً بهذا النازع المستكين

وفي ضباب الوحشة الباردة
يبحث عن أحلامه الشاردة
في ظل تلك الراحة الخالدة

يحوط بي أي نعيب الشقاء
فيذهب الصوت سدى في الفضاء

على رمـال ثائرات الشرار
ولهيب أوى، تأجج القرار
غاله مدى بياض النهار

إلى ظلال الجنة الزاهرة

وكنت أمشي في فضاء السنين

والآن قد أبصرتها ماثلة
يريد تلك الجنة الحافلة
والموت آت، والمنى زائلة

فلام حرمت على الجائع؟
وكيف أمشي في طريق الضياع

لن تسكون الجنة الشماء
والورد للعذب كجدب الفلاة
فانتث يأسى قد توارت رؤاه

وهذه الجنة ما ذنبها؟
إن مثلها... بل ألا أحبها

فلما أتى يارب! وهذا الذي
لهفان للحسن النضير النضير
حيران الشكى هائماً أستجير

ومن أمشي في ظلالها شاديا
ويسمعه من أطاق ما كيا

ومن عشى من جمالي الشباب
أحيا بظل الذكريات العذاب
هل يرجع الغائب بعد الغياب

يارب هذى سنة الغمام
أتاههـا الوجـد الذى لا ينام

وأطرق الشارد حتى غدا
كأنه والرمل فما بدا
منتظرا صوتا كهز الندى

رخيم الصمت، ورأى السكون
وعاد ثارت به في جنون

وارحتنا للشارد المستطار
عشى به نحو بعيد القفار

أسأل عنها النسمة الباردة

تضربه القلب كطير سجين
مكل حسن يفتن الناظرين
فكيف لا أنعم حتى حين؟

وفيم قدرت على المحن؟
أحمل في قلبي هموم الزمن؟

إلا لمن أضناه طول السفر!
إن لم يكن للظامئ المنتظر
تراعى يأس جديد الصور!

حتى أراها ملك من لا تريدا
وطيرها هنادى بحلو النشيد

ترنو إليه غاية الصادية!
تحنو عليه لتقتى ظلها كيه!
من حيرتى بالجنة العالية!

حينا... إذا قدرت أن نفترق
نقلبي الشاكي، دروس القلق

ويا صمت العجز لحلو الشرب!
وأسأل الصمت الذي لا يجيب:
ويشنق عمن يحب الحبيب؟

وأنت أدرى بآمال البشر
فليقول الصوت.. صوت القدر؟

في صمته عثال يأس عريق
من حوله... جثة ميت غريق
إذا قسا، أو مثل قبح الحريق

على رمال في الدجى باكية
عاصفة مجنونة عارية

مقيداً في حلة الساهمة
في ليلة مقرورة واجمة

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

في الأدب والفن والحياة :

ما إن فرغت من قراءة تعليقك على رسالتي إليك ، تلك الرسالة المنشورة في العدد (٩٠٠) حتى سيطر علي شعور غريب لا أستطيع له دفعا ، ذلك لأن تعليقك كان عميقا كأشد ما يكون البحر عمقا ، صافيا كأحلى ما يكون صفاء ، متشعب النواحي ممتد الشعاب ، يستجيب له القلب والفكر ، ويتحيران في الإجابة عن كل ناحية من نواحيه وكل شعبة من شعابه .. ولكنهما يحاولان فيه حيرة تبعث على الصمت والإعجاب ، والتفكير والاكتئاب !

١ — فهنا روح « ناهد » التي تطل علي من عالمها الآخر تشكر لي عاطفة نبيلة أملت علي أن أذكر أحزانها في الأدب والإنسانية ولدت مع الربيع وماتت مع الورد ، وكانت حياتها « أقباسا من وهج الجوعة » وفنونا من عبقرية الألم ، وعريها لا يعرف طعم الربيع إلا من أفواه الناس » ! لقد تحدث إليها قلبي وناجاها بياني في صفحات معطرة بالشكوى ، مصمخة بالنجوى ، حيث لي ذكراها من قصيدتي « قرية تموت » المنشورة في العدد (٩٠٣) من الرسالة .

ولكن من يدري أن « ناهد » قد ماتت في « هجران » وأن « هجران » قد ماتت في « ناهد » ، وأن « قرية تموت » ما كانت إلا استجابة للحزن الصارخ الجارح الذي يمسك القلب حين يدفن فيه الحب ، ويفزع إلى المحبوب حين يغيب عنه الحبيب ! من شؤمنا نحن معاشر الأحياء أن نموت فيمن نحب ، وأن نتوزع على من نهوى ، وأن نعيش معذبين موزعين على نحو ما تعيش الحمائم قد غالت فراخها النسور ، وأودت بمشاعرها الرياح !

٢ — وهنا الشاعرة « المجهولة » التي ظلت فيها حين قضت أن يطول وهن الحنين ، الطالب والجاد . ماذا أقول لك يا أنور وقد أثرت بهذه الحقيقة الصادقة نوازع النفس ونوازي الروح ، ودفعتني إلى الشعر دفعا حادا ، بالنفس تسكب حسرات ، وبالقلب يترقرق عبرات ، وإذا بقصيدتي « رحيق المحبين » تمثل أمامي عبرة صافية ، وأنة شاجية ! فإن استطاعت هذه القصيدة أن أصور حال الفتاة وقد أرادها مجتمعها الظالم في صورة قاهرة كالقبر موحشة كالعدم ، ماؤها الحرمان والقنوط والسأم والملل ، فلا شك وحدك الباعث على هذا التصوير والحافز لهذا التفكير . ومن أولى منك بالدفاع عن « المرأة الشهيد » التي عاشت طيبة بسكين من المادة والوهم كما يقول « شوقي » الخالد في مسرحيته « مجنون ليلى » على لسان « ليلى » مخاطبة « قيسا » :

كلانا قيس مذبوح ... قتيل الأب والأم
طعينان بسكين ... من المادة والوهم !

أجل ! فما هذا الشعر الذي قاله « شوقي » إلا تصوير لهذا المجتمع الآثم الذي أمات المرأة ووأدها وهي حية في دارها كرة وفي قلبها زلة أخرى ، عاقبه من عرف جار وناس محافظين يعيشون بالمادة والوهم أضعاف ما يعيشون بالعقل والتفكير ، ويستجيبون للقصص والشدة والحسام والمرام أكثر مما يستجيبون

حتى إذا الليل طواه النهار ... وغاب طيف الجنة الوارفه
تلفت الشارد كيما يرى ... أين انتهى بعد المسير الطويل
لم يجد إلا الربى العابرا ... بقفرة لاصمت فيها عويل !
فسار في واد عميق الوهاد ... يسلك في الصخر طريق الشتات
ضلاله مثل الهدى والرشاد ... ما دام يمضي ضائع الأمنيات
يمضي .. ولكن للمنى والسهاد ... واليأس والحسرة .. حتى الممات !
يا من يوالي طيفها وحدتي ... وشخصها مني بعيد .. بعيد !
هذي حياتي ... هذه قصتي ... قصة حب مستهام طريد !
تأمليها تعرفي محنتي ... وتدركي سر شقائي الشديد !
وتستدري في نكبتي هفتي ... من حرقة الأسى ونار الهموم !
حلت نار الحب في مهجتي ... ومشت أيامي بقلب شهيد !
رحلت بالآمال يا جنتي ... من غال باليأس فتاك الشريد !

القاهرة ... ابراهيم محمد نجا

الأناة والرفق والوئام والسلام.

فيا أخي أنور لا تعجب، الشاعرة «حمدة» «مجهولة» التي ظلت فيها حين تمنت أن يظل رهين الحبيبين: القلب والدار... ولكن كل فتاة عربية في هذا الجيل قد أمست رهينة محبسها: قلبها ودارها، فعاشت تتطلع إلى مجتمعها الظالم من بعيد تنظر ولا تقترب، وتنطوي على نفسها تفكر وتكتئب، وتأن وتلتاع، وتبدع أدبا يتسم بالسأم والملل، ويتشح بالقنوط والحرمان!

أرأيت يا أخي أنور إلى هذه الأزمة المستعصية، أزمة الفتاة، وإلى همها التي ما تنجلي، وإلى إسارها الذي لا يطاق، وإلى حياتها التي تضج بالحرمان والعذاب، من مهد الصبا والشباب إلى مهد البلى والتراب! ألا تفوق هذه الأزمة أزمة القراء ومشكلة الكتب؟ وهل مثل هذه المشكلة حرية بجدير الأقلام أن تتساند على كشفها وتتساعد في جلائها؟ فهل يا كاتب الأداء النفسي و... على هذا العصر واصرخ في وجه هذا المجتمع وتحرج باسمه الظالمين الذين على المرأة أن تستنشق هواء الحرية، وأن تتذوق معنى الحياة وأن تخلص من أشواك المرض والعادة والوهم، وإسار القلب والدار!

هلم يا كاتب الأداء النفسي واجل ببيانك همها وعالج بتفكيرك أزمتها، وادع الكتاب والكاتبات إلى معالجة أزمة المرأة ومحنة الفتاة، كما دعوتهم من قبل إلى معالجة شئون الأدب والأدباء، ومشكلة الكتب وأزمة القراء، فعسى أن يكون في انكشاف هذه الأزمة وانجلاء هذه المحنة ما يعين على تلافي أزمة القراء ومشكلة الكتب، بإنقاذ نصفنا الآخر الذي يعيش ليشقى، ويتألم ليشقى، ويحلم ليبقى!

٣ – إن من حق أزمة القراء أن انصرافك عن التفكير في إخراج كتبك إلى الناس، هؤلاء الذين زهدوا في عصير الذهن ورغبوا في عصير الليمون كما تحدث من قبل صديقك الأستاذ توفيق الحكيم في حواره النادر الذي أداره على صفحات «أخبار اليوم» بينه وبين عصاه، وعلقت عليه «الرسالة» في تعقيبات العدد (٨٨٧)، وأعني تهمة بالانحاء على المدرسة لأنها لم تستطع إلى الآن أن تغرس في الطالب ملكة المطالعة ورغبة الاطلاع اللتين ستلازمانه في كل حين وتجعلان منه رجلا نافعا وأداة صالحة.

وأرى أن المدرسة أو الجامعة تزهد الفتى والفتاة في المطالعة بما ترهق الفكر وتتعب العقل من ضروب الثقافة وصنوف المعرفة التي تضطر بكثرتها المتكاثرة، وتدفع النفس حين تخلص من محنها وتقسمها أن تستجم وتستريح إلى ضروب من اللهو والعبث والحياة الرخيصة، وألوان من الابتذال لا تثمر إلا الكسل والسأم وإضاعة الوقت والمال. ذلك لأن المناهج لا تزال تحرص على الكمية أكثر من حرصها على الكيفية، ووظيفة الجامعة في هذا الزمن العجيب أن تسأل: كم قرأت؟ دون أن تسأل: ماذا أفدت؟! إن حشو الذهن بالمعلومات يؤدي بخريج الجامعة أشداق ما يؤدي داخلها؟ فهو بشره الثقيل وظله البغيض يصرف النفس صرفا عن المطالعة، لا لأنها لا تريدها ولا تحبها بل لأنها ملتها واجتوتها، ورأت في ملاحقها ما يؤدي في حينها ما يضجر وفي الانصراف إليها ما يضيع رونق العمر وبهجة الحياة. إن الجامعة تنفر الطالب من القراءة لأنها تقتله قتلا بالقراءة.. فلا يتخرج من الجامعة إلا بعد أن يقبل عينيه، ويحمر دراه وينتهي بمعلومات لا تفي بها، ولا تجدي جداء، والويل له إن قصر وإن تأخر! فهل للجامعة بعد هذا كله أن تستجيب لنداء الأستاذ الحكيم: «فتعلم طلابها حب القراءة، وتمرن عضلاتهم الفكرية على هضم أغذية العقل، ثم تدفع بهم إلى الحياة ليزدردوا ثمرات الذهن... إن الإنسان يولد زبونا بالفطرة لعصير الليمون، ولكنه لا بد أن يعد إعدادا ليصير زبونا لعصير الذهن»!

إن وظيفة المطالعة أن تنمي الذهن أولا، وأن تقتل السأم والملل ثانيا بما تفرغه على النفس من نعمة النسيان ولذة الترفق في أيام سود كوالح، ناهيك بعدة المعرفة التي تخلق التجاوب بين الكتاب والقراء، فيستجيب الفكر للفكر ويخلد الرأي إلى الرأي، وينشأ من ذلك أدب جديد يستنير بأضواء الكتاب وأقباس المؤلفين يعالج ما عالجوا وينقد ما نقدوا ويسايرهم مرة ويناوئهم مرات. ذلك لأنه يحرص في أداء رسالته الخطيرة على الصدق والحقيقة والخير، فالشعر يهيج الشعر والكلام يثير الكلام، وما أصدق أكتب كتاب العربية أبا عثمان الجاحظ حين يقول: «كل شيء إذا ثنيته قصر إلا الكلام فإنك إذا ثنيته طال»! وكذلك

الشأن في التأليف وانصرافهم إلى التأليف، كما أن الفراغ منتهى الكتابة .

ومن حقنا أن نصف حين تسنح الأمور، فليس عدلاً أن يكون الذنب ذنب الجامعة وحدها بل هناك ذنب العصر الذي نشأنا فيه ، فلقد عمرنا بعلل نفسية وأجواء اجتماعية بدأنا آثارها تأتيها ولا ندرى طريق الخلاص منها ! فالعصر مضطرب هائج بالويلات، والشعور سائح بالقلق والحروب . والنفوس لا تستقر على حال من القلق كأنها الريشة في مهب الرياح كما يقول أبو الطيب المتنبي . ولقد « قذفت الأمهات المضطربات هذا الوجود بسلالة شاحبة عليلة مضطربة الأحشاء ، نشأت على دوى القذائف ورائحة البارود وغبار المعارك ، ففقدت إرادتها وأضاعت اتزانها وعاشت للسأم والملل » كما يقول « موسيه » في اعترافات فتى العصر !

وأحسب أن الحضارة قد قتلت « الكتاب » وأن المدنية قد خلقت أزمة القراء ، فها هو المذياع قد قرب البعيد وجمع العالم بين يديك فما أغناك أيها الإنسان الطويل الضجر أن تستمع إلى أخبار العالم ملخصة في أسطر ، وما صبرت على الأديب يتحدث في دقائق معدودات حتى يتم حديثه ، ولا على الشاعر حتى ينهي قصيده ، ولا على الأفق حتى يتم أغنيته وأخذت بين إصبعيك العالم بأسره تبحث عن شاطئ السلام فلا تجده، وتفتش عن مرامك فلا تظفر به ، وأنت لا تعرف على التحديد ما تريد ، ولا تنم على التحقيق ما تبتغي ، وتظل رهين قلقك أسير ملالك حليف أسلك .. وحين مات أذنك المذياع وفرت لك « الشاشة » النظر فعرضت لك الحوادث مصورة والأنباء مجسدة والوقائع ناطقة ، فأشاعت العين بعد أن متعت الأذن ، ورفهت كلتاهما من السماع والنظر .

لقد قتلت القصة الشعر كما صرعت المدنية الكتاب ، وطغت الشاشة على القصة والشعر والمقالة والكتاب . وما هو ذا الإنسان يسأم النظر إلى الشاشة ويعاف سماع المذياع ، لأنه ابن عصر قلق ضجر ورث منه ملله وضجره . فهل لأطباء النفوس أن يعالجوا داءه ويصفوا دواءه ، وينجوه من الملل والأزمات فيخلص من عذاب لا يطاق وعناء لا يحتمل ؟!

لقد كانت أديبتنا الفاضلة المسيحة وداد سكاكيني صادقة كل الصدق حين زارتك في وزارة المعارف تسألك عني ، فتقول لك فيما قالت وأنتما تتحدثان عن أزمة القراء : « لو كنت تعلم منزلتك في الأقطار العربية عامة وفي سورية على الأخص ، لما تأخرت في أن تقدم إلى قرائك ما لديك من كتب » . إنها كلمات من قبيل الحقيقة التي يؤمنها الواقع ، فأنت أديب واسع الآفاق عند من القراء والمعجبين بك مثلاً حدثه ، ولكنك تمثل بما مني به الأستاذ توفيق الحكيم من قبل ، حين أرخص أثمان كتبه لييسر للناس اقتناءها فلم يقتن هذه الكتب إلا عشاق فنه وأصحاب أدبه ، فهم في نفس الفن متقدم في ارتفاعه ، فهل هو حتم على الأديب أن يسكب نفسه في كتابه ليقدمه إلى الناس بالمجان ، أو يهديه إلى قرائه إهداء كي يتغلب على أزمة الكتب ومشكلة القراء ؟!

إن مصراً هذه محنة وعلله ، وجامعاتها تذيع آثارها ومناهجها وإن نصفنا الآخر بما يقاسيه من إصدار وحرمان واحتباس في القلب والفكر ، كل أولئك كفيل أن يقضي على الكتاب ويزيد في أزمة القراء ، ويقودنا إلى نكبة كبرى من جفاف العقل وذبول التفكير ونضوب الذهن وخلو القلب والروح . فإن رأيت أن تهدى كتابك إهداء لن يطالبها على غرار ما صنع الشاعر عزيز أباظة في ديوانه الأول « أنات حائرة » أنهيت أزمة الكتاب على خير حال والتيسير بالمال ، ولو ذهب المال إثر المال !!

٤ — أما عن هذا الباب الذي فتحته من تخيل وهبت منه رياح العصبية الإقليمية وسرك أن أطرقه بهذه الكلمات : « إني أمقت من تعصف ليثه بيئتها دون غيرها من البيئات ، ووطني بعينه دون غيره من الأوطان ، لأني أرى الدين وطناً وأحب أن يطلق الشاعر في هواه » فإنه ليسرني أن أسمع هذه الصيحة من كل قارئ وأديب في مصر ولبنان وسورية والعراق ، وكل وطن تربطه بالعروبة أواصر وأسباب ، وأحب للكتاب أن ينظروا إلى أحلامهم وهي مجردة من أثواب الوطن الصغير ليضمها على واحد هو هم الوطن الكبير .. عندئذ تختفي من الأذهان هذه العصبية البغيضة التي تنصف شاعراً كمحمود طه في مصر لأنه مصري وتقف إلى جانب أبي ماضي في لبنان لأنه لبناني ! إن كليهما في رأيي ورأي الحق شاعر (عربي) ، وهذا هو العنوان الصحيح الذي يجب أن تخرج تحته أعمال الفن على اختلافها . أوفقت أن هذه الكلمات ، ولكن ما بال مجمعنا اللغوي يمنح جوائز اللغة والأدب على مستحقيها من أدباء العرب ، ثم يقصر جائزة الشعر على مصر كأنه يخصها دون سواها بهذا الخير ، والشعر لا يقتصر على قطر دون قطر ، وإنما يترك فيه لمجلي الأسس ، وفي التخصيص

تضييق ، وفي التصميم متم كبير للشعر وهو في إبان ازدهاره وأوان إثماره !! مهلاً يا صاحب «الأداء النفسي» أن أسجل على إغلاق هذا الباب الذي هبت منه رياح التصميرة الإبداعية التي تحنو على الشعر ألا يفارق أرجاء مصر ؟ ألا ترى الجميع أن «شوقي» الخالد إنما استمد خلوده لأنه ملاك العرب والعروبة ، كتب شعره بيانهما فنطق بلسانهما وأعرب عن أفراحها وأحزانها !

« .. أما عن سر إعجابي بشعر عزيز أباظة وأنور العطار فمرده إلى أن الشاعرين يشتركان ألفاظهما وأخيلتهما وقوالبهما من النبع نفسه الذي كان يغترف منه « شوقي » الشاعر الخالد .. وما أحب الشعر العربي حين يتحرر في أفكاره أن يتحلل في قوالبه وأساليبه ولا أن يتجهم اللغة ويتنكر للبيان وإني لأرى في شعر على محمود طه من تحرر الفكر ومتانة الأسلوب ورصانة البيان ما يفتن ويبهج ، كما أرى في شعر خليل مطران من قوة السبك ودقة النسج والحرص على النهج العربي الرصين ما يعجب حقاً ويبهر صدقاً . ولكني لا أرى مثل هذا في شعر أبي ماضي ، فهو يبدع في فكرته ويسف في لغته وأسلوبه ، ويرتكب من الأخطاء النحوية والتعبيرية ما يجعل الفكرة بالية في ثوبها المهلهل وإطارها الردىء ، وأسلوبها الذي يتنكر للبيان العربي تارات وتارات .. وكذلك أنظر إلى قصيدة « يوسف حداد » إن كان في الأرض شاعر يهمه الإسم لم ينظم سوى قصيدة واحدة كانت « نفثة من النفثات التي يصعب أن تتكرر من حين إلى حين » . وأغلب الظن أن يوسف حداد إن هو إلا شاعر من شعراء « العصبة الأندلسية » في المهجر ، شاء أن يختفي وراء هذا القناع لنيل جائزة الشعر وفقاً عليه تنطلق منه إليه : على أني أكذب الظن وأنحرف عن جادة الإنصاف إن قلت إن قصيدة يوسف حداد خلو من الشعر أو هي براء من الخيال الجنح العجيب الذي يهز النفس هزاً ولكنه لا يظفر بقسط كبير من الإعجاب ، كما أن في شعر عزيز أباظة وأنور العطار ما يعجب النفس أشد الإعجاب ولكنه لا يهزها هزاً إلا في لحات عابرة وبدوات مشرقة وما أندرها وما أقلها !

إن في هذين اللونين من الشعر ما يرضى منه « الأداء النفسي » كما تقول ، فهل يتاح لشعر العربي شاعر عبقري عظيم يتذوق صوره وأفكاره من « جبران » المنطلق الرحب ، ويشيد قوالبه وأساليبه من نهج « الرافعي » المتشدد الرصين ؟ عند ذلك تتطلع الأرواح والقلوب إلى « أبي الطيب » الجديد الذي يصبح أرث الخلود ومهوى النفوس وشغل الزمان !

لا يا أخي أنور ، إن ما شممت من كلامك رائحة اختلاف في الرأي ، وما أحسب أنا اختلفنا في أمر وإنما نحن نلتقي على اختلاف في وجهات نظرنا إلى الأدب والأدباء ومشكلة الكتب وأزمة القراء .. وحسبك أن تعلم أن هذه الأبيات التي قالها شوقي على لسان ابن ذريح رغم ما فيها من تحريف في البيت الأول اقتضاه المقام ، إنما كان لسان حالي ويسرني أن أسجله مرة ثانية فأقول :

اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية

وبعد فإن أحسب هذه المطالب مدمجة وما أراها منجرة ، لأنها ستحل أبداً جزءاً من تشقيقاتك وإنما تصبح تشقيقاتك كلها في النقد العربي ، وإن ظنك سيدخل بعد هذا اليوم لامفاع من الرؤية التي سدها بجمعها من ولوج بابه والسير في رحابه والوصول إلى إلى محرابه ، حتى تتجلى أزمتها وتتكشف غمتها ، وما أنا إلا إحدى الضحيات المنهورات . والله يتولاك برعايته كفاء وفائك معنا وإحسانك إلينا

« دمشق »   هجران شوقي

أعتقد أن الشاعرة السورية الطموحة الآنسة هجران شوقي توافقني على إرجاء التعقيب إلى الأسبوع المقبل ، لأن رسالتها المطولة قد طغت على الصفحات الأربع المخصصة للتعقيبات .. وأعتقد مرة أخرى أن القراء سيلتمسون لي بعض العذر إذا ما شئت من أسئلتهم حول كثير من شئون الأدب والفن ، بالجواب من هذه الرسالة في العدد القادم ، ذلك لأن الشاعرة الناشئة قد طرقت أبواباً جديدة تقف خلفها أكداس من الخواطر والمشاعر بعضها في الأدب ، وبعضها في النقد ، وبعضها في الحياة !

ويبدو لي أني سأختلف مع الآنسة هجران حيث ينبغي أن نختلف وسأتفق معها حيث يجب أن نتفق ، لأنها تصيب الهدف في كثير من الدقة والإتقان ، ثم ينحرف بها قليلاً فيخطئ التصويب في بعض الأحيان ! أما من قصيدتها « رهينة المحبسين » فلها مني خالص التهنئة ولشعرها كله مثل هذه التهنئة الخالصة ، وموعدى معها في الأيام المقبلة القليلة إن شاء الله .

أما من الجزء الأخير من رسالتها فقد رأيت ألا أثبته حتى أتلقى منها ما يلقى بعض الضوء على زاوية خاصة ، وجهت منها الحديث إليها في رسالة خاصة منذ بضعة أيام . وأنا في انتظار هذا الضوء الذي يبدد من حول حياتها حجباً من الظلام !

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

مسرحية « ابن جلا » :

كان يوم الخميس الماضي بدء تاريخ في حياة المسرح العربي ، فهو أول يوم ظهرت فيه فرقة المسرح المصري الحديث على خشبة المسرح ، وكان مسقط رأسها مسرح الأوبرا الملكية ، وكان مولدها على يد الأستاذ زكي طليمات عميد المعهد العالي لفن التمثيل العربي ، وقد اختار أعضاءها كلهم من أبناء هذا المعهد وبناته ، عامة ، وتقدم بهم مباشرة إلى الأوبرا على طريقة الزحف السريع ، كما كان يصنع الحجاج (يمثل الأستاذ نور الدمرداش الحجاج في ابن جلا) وقبل أن نحكم على مدى انتصار فرقة المسرح الحديث .. ننظر في جولتها الأولى ...

افتتحت الفرقة عملها بتمثيل رواية « ابن جلا » للأستاذ محمود تيمور بك ، وهي رواية تعالج شخصية الحجاج بن يوسف الثقفي وتعرض حياته في اثنتين وعشرين سنة ، وهي الفترة التي ظهر فيها على مسرح الحياة السياسية في عهد بني أمية . تعرض المسرحية في ثمانية مناظر ، يظهر في أولها الخليفة عبد الملك بن مروان يدبر لحرب مصعب بن الزبير بالعراق ، ويجمع قواد الحملة فيختار الحجاج (رئيس الشرطة) قائداً لمؤخرة الجيش ، ويظهر في هذا المنظر فتاة أعرابية متحمسة تقول إنها تشتغل بسقاية الجنود ، فتسترعي جرأتها وغرابة حالها انتباه الحجاج . ويبدو الحجاج في المنظر الثاني قائداً للحملة الموجهة إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير ، فها هو ذا بسفح الجبل يشرف على الكعبة التي يحتمي بها ابن الزبير ويرميها بأحجار المنجنيق ، ويفد عليه في أثناء ذلك ابن حكيم ، وهو شيخ من الطائف ومعه ابنته عفراء ، يذكّره بأيام نشأته في الطائف ، وتعرض له الفتاة بما كان بينهما في أيام الصبا ، ولكنه لا يلقي إليها بالاً ، فتنصرف مع أبيها في انكسار وخيبة أمل . ويجري بين الحجاج والفتاة الأعرابية حديث عن المرأة الهاشمية تظهر فيه غيرتها وحبها للحجاج ، وقد صارت الفتاة وصيفة للحجاج وتمد له الطعام ، وهي تطمع أن يبادلها الحب ، وهو يداعبها ، ويبدو من معاملته إياها أنه فقط يعطف عليها ويستملحها ويستطيب صحبتها .

ويرتفع الستار عن المنظر الثالث فيرى الحجاج بقصره في المدينة وقد أصبح والياً على الحجاز ، ينتظر رسوله من دمشق ، كما ينتظر قدوم عبد الله بن جعفر الذي بعث إليه ، فيحضر ابن جعفر ، فيحسن الحجاج استقباله ، ويتطرق الحديث بينهما إلى أن يخطب الحجاج إلى ابن جعفر ابنته ، فيرفض ابن جعفر ، لأن الحجاج ليس كفئاً للهاشميات وإن عظمت به الولاية ، وينصرف ابن جعفر بعد جدل عنيف بينه وبين الحجاج . وتقبل الأعرابية وتبدي غيرتها ، وتتمادى في مناقشة الحجاج الجرأة التي اعتادتها معه من أول لقاء بينهما ، فتقول له : إنك تريد كما بك أن تتشرف بمصاهرة ذوي الحسب والنسب ، ولما يقول لها إنه مصر على تزوج ابنة عبد الله بن جعفر ، تتوعده وتذكر له كيد المرأة . وفي آخر هذا المنظر يقدم الرسول من دمشق وينهي إلى الحجاج اضطراب الأمور في العراق وضعف واليها وحيرة الخليفة فيما يصنع هناك ، فيعلن الحجاج اعتزامه الرحيل إلى دمشق في وفد من أعيان الحجاز لإعطاء البيعة ، يقول ذلك وهو يردد في نفسه كلمة : العراق .

ويظهر الحجاج — في المنظر الرابع — بقصر الإمارة في الكوفة ، مزهواً ، يردد : « هـــذا أوان الشد فاشتدي زيم » ويصرف بعض الأمور ، ثم يسأل صاحب الشرطة عن الأعرابية : ألم يعلم شيئاً منها ؟ فيجيبه : لم أعلم من أمرها شيئاً منذ هربت من المدينة . ثم يصيب الحجاج سهم في ذراعه قذف إليه من الشرفة ، فيهرع الحراس ويعودون ممسكين بالجاني ... ويتبينه الحجاج ، فإذا هو الأعرابية . ويدور بينهما حوار تقول فيه : إنها تريد أن تقتله لأنها تحبه . وإنها ساخطة عليه لخطبته هنداً بنت أسماء جرياً على ما يتطلع إليه من تلك المصاهرة ، ويختتم هذا المنظر بوثوب الأعرابية من النافذة إلى النهر هرباً .

فإذا كان المنظر الخامس رأينا في خيم شبيب الخارجي ثم « جهيزة » وزوجه « غزالة » في لبوس القتال ، ثم ينصرفان من جانب بعد حديث طويل ، ويقبل من الجانب الآخر شبيب ومعه الأحوازية التي جاءت إليه لتنقل له أخبار الحجاج وتساعده على ذلك . وفي المنظر السادس نعود إلى قصر الإمارة بالكوفة وقد ظهر فيه حراس الحجاج في حالة فزع لأن شبيبا يحاصر القصر ، ويدخل الحجاج فيهز حاشيته وحراسه لخوفهم ، ثم يقبل الحجاج أن يستقبل وفدا من قبل شبيب للمفاوضة ، ويدخل الوفد على رأسه الأحوازية ، فيتغزل بها ، ويدعوها إلى خداعها بالحب ، ثم تنصرف فتحتال على شبيب حتى تحمله على العودة ومغادرة الكوفة .

والمنظر السابع في قصر الإمارة بمدينة واسط التي بناها الحجاج ، تقدم العمر بالحجاج ، وبدت عليه شيخوخة مبكرة ، وصار يشكو آلام معدته ، فهو يطلب الطبيب ، ولكنه يأبى أن يخضع لأوامره ، ويعاند حتى معدته ، فيدخل عليها — وهو يعاني عسر الهضم — عشر صحاف من الحلوى . وتظهر الأحوازية بجانب الحجاج ، تعنى به وتسهر على راحته ، يبشر الحجاج من قبله لبطله « قتيبة » في حرب بخارى ، ثم يقبل رسول قتيبة فيبشره بفتح بخارى ، فيفرح الحجاج أشد الفرح ، ويعد الرسول بأن يزف إليه عروسا جميلة عندما يزف إليه نبأ دخول المسلمين أرض الصين .

وفي المنظر الثامن ، وهو الأخير ، نرى الحجاج ملتفا بالملاحف ، وعلى جانبيه مدفأتان ، يشكو آلامه ويمادى في مخالفة الطبيب ومعاندة معدته ، فيأكل ويفرط في الطعام ، والأحوازية لا تزال في خدمته والعناية به . وكانت عيون الحجاج تجد في البحث عن الفقيه الصالح سعيد بن جبير لخروجه عليه مع ابن الأشعث ، وهنا يزيد ابن أبي مسلم كاتب الحجاج الذي يجاريه في مساوئه وبطشه ، ينهي إلى الحجاج أنهم جاءوا بسعيد بن جبير ، ويدخل سعيد على الحجاج ، ويأبى أن يعتذر بخطأ ، ويوغر يزيد صدر الحجاج على شبيب حتى يأمر بقتله ، ولكنه يندم على ذلك بعد ويناجي نفسه بفظاعة هذا العمل ، داعيا إلى اللعنة التعيسة على كاتبه يزيد ، ويعود إلى الطعام مصرا على التزيد ، ولكنه يضعف فيلجأ إلى متكئه . ويأتي رسول قتيبة قائلا : جنود المسلمين على أبواب الصين ، فيستدنيه الحجاج ويعانقه ، وتبدو في أساريره نشوة الفرح رغم آلامه الشديدة . ثم تعاوده ذكرى الدماء ، فيقول في هذيانه : مالي ولسعيد بن جبير ؟ ما قتلته . على نفسه جنى . رحماك يا ربي ! وأخيرا يتمدد فاقد الحركة ، وقد فاضت نفسه .

مسرحية طويلة يستغرق تمثيلها نحو أربع ساعات ، ولكنها متصفة

كشكول الأسبوع

▫ يلاحظ في برنامج استقبال معالي الدكتور طه حسين بك في إنجلترا ، أن الهيئات الثقافية المختلفة حاولت الاحتفاء به ، كوزارة المعارف والمجلس البريطاني والجامعات . وقد قررت جامعة أكسفورد منح معاليه درجة الدكتوراه الفخرية في الآداب وهو بذلك أول مصري ينال هذه الدرجة .

▫ لم تذكر محطة الإذاعة شعر المرحوم الشاعر علي محمود طه بأية كلمة في يوم ذكراه ولم تشر إلى هذه الذكرى بأية إشارة ، في حين اهتمت بعض المحطات الأجنبية بذكرى شاعرنا فأقامت فيها أحاديث . أليست محطتنا هي الجديرة بأن تحتفل بذكراه !!

▫ كتب الأستاذ محمد علي غريب في « الزمان » مقالا عن الأستاذ علي أدهم ، فأثنى عليه بما هو أهله ، ولكنه تساءل عن عزوفه عن الكتابة واحتجابه عن ميدان الأدب ، وليس الأستاذ أدهم كذلك ، فهو يكتب في مجلة الثقافة ، ويطلع على القراء من الحين والحين بمؤلفات قيمة .

▫ صدر أخيرا كتاب « صناعة السياحة وأثرها في الاقتصاد القومي » للأستاذ علي الحاملي بك ، وهو كتاب فريد في موضوعه ، يشتمل على تاريخ السياحة في مصر وأثرها في الاقتصاد القومي ، ونشاط السياحة في العالم ، ودراسة مناطق السياحة في مصر ووسائل تنمية السياحة ، كما يتحدث عن نظام مصلحة السياحة المصرية .

▫ يصلني بعض الكاتبين بل « رسائل لاذعة » وأنا أختار مما يرد إلي ما كان ذا موضوع يهم القراء ، وهذا النوع الموضوعي من الرسائل قد يتأخر ترجمة الوارد أو تقديم ما هو أسبق منه عليه ، ولكن لا أهمله ومن ذلك رسالة من الأديب نازي علي مرزوق بكلية اللغة العربية ، ولا تحمل بالسيد نازي ، فكل ما هو آت آت .

التشويق، تشيع فيها روح الدعابة والفكاهة، وتشيع أثناءها مجمجة بالخواطر والالتفاتات العجيبة. والهدف الذي ترمي إليه هو تحليل شخصية الحجاج كما يراها المؤلف، بل كما أحسها وفهمها من طول معاشرتها في تاريخها، وهو يتخذ هذا التاريخ وسيلة إلى غايته الفنية؛ «فالتاريخ موجود في كتبه، موجود لمن أراده، أما الفن فمجاله النفس الإنسانية، بطابعها في الحياة الحاضرة أو في «الحياة التاريخية» إن صح هذا التعبير.

قصد تيمور إلى الحجاج ذاته، ولم يعرض من تاريخه وأعماله إلا ما يعين على كشف أغوار نفسه؛ ولذلك نجد المسرحية تعنى بجوانبه الخاصة أكثر مما تهتم بالأحداث التاريخية. والذي يهمنا من هذه المسرحية هو الحجاج باعتباره كائنا إنسانيا له خصائص متميزة كان يعيش في زمن ما.

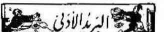
الحجاج — كما صوره تيمور أو كما يبدو لنا من هذا التصوير — رجل طامح يتطلع إلى المجد، ويحس في أعماق نفسه بنقائص يحاول تعويضها؛ كان معلم صبيان بالطائف، ثم جاء إلى دمشق ووضع نفسه على أول درج في السلم عندما لحق بشرطة الخليفة، فأراد أن يصعد صعودا، واستمسكت به الرغبة، فعسف وبطش وأسرف في عنفه وبطشه، بل أسرف في كل شيء حتى الطعام، وكان يحرص على مظهر المصاهرة لينتسب إلى ذوي الأحساب والأنساب. وهو رجل قوي الشكيمة بارز المشروع حتى إنه ليعصى أوامر الطبيب ويأبى تحكمه في ما يأكل ويشرب ويعاند معدته فيحاول أن يرغمها على تقبل الطعام وهضمه مهما كثر وثقل. وهو أسود أخفش دميم، فتراه مستاء منه، يغطي رأسه الطراطير الطويلة يلف عليها العمائم الحمر أو الخضر ليتميز على نظرائه. وهو يميل إلى أن تمتدحه النساء، بجماله وحسن وجهه. وقد أتى المؤلف بالفتاة الأهوازية من إبداع خياله وجعلها ملكا للحجاج ومسايرا لذاته، فأجرى على لسانها ما يكشف من نوازعه وأسرار نفسه، تحاوره بذلك في جرأة لا يصبر بها على رغم أنها تميل أحيانا إلى القحة، وبذلك يكشف لنا عن مرض نفسي لدى الحجاج هو «السادية» فهذا الجبار الباطش يلذ له أن تؤذيه هذه الفتاة الثائرة وهي أيضا تشعر بلذة خفية في هذه الناحية التي تعجبها فيه، وتجمل الفتاة رأيها في الحجاج بأنه «يد نهاش ومعدة تشوى».

وتيمور لا يرى الحجاج — على ما يبدو لي — رجلا شريرا، أو على الأصل يسرف في أعماله من محبة الشر — لا يراه كذلك، وإنما يرجع دوافعه إلى البطش والطغيان، إلى ما يراه في جمع كلمة المسلمين وتدعيم الدولة، فهو يبتهج كل الابتهاج بانتصار المسلمين وتمام الفتح واتساع رقعة البلاد، يشم التراب الذي أتى به رسول قتيبة من تحت سنابك خيل المسلمين — يشمه فينتشي به وهو يحتضر.. ثم هو يتألم أشد الألم لقتل ابن جبير ويؤرقه تخيل دمه المسفوك.

وقد بلغت هذه المسرحية غايتها من حيث معالجة الحجاج وجلاء «ابن جلا وطلاع الثنايا». وكان جل العناية موجها إليه ثم إلى الفتاة الأهوازية، وكان رسم الشخصيتين متقنا سليما وإن كان في ملامحهما شذوذ، وهو شذوذ يقع في الحياة. وليس في المسرحية عناية ذات شأن برسم شخصيات أخرى، وإن كان تقدم سائر الشخصيات شيئا فيما عدا شخصية شبيب الخارجي، فقد رأيناه على المسرح في غير ما سلفه في التاريخ وعلى غير ما يوافق فكرته الثورية الدينية، رأيناه كلفا يحب الأهوازية يلح عليها في مبادلته الحب، وتفاجئه زوجه وأمه وهو مع الأهوازية في حالة تقبيل. وقد نشأت من ذلك مشكلة هي غيرة الزوجة ونكوصها من مشاركة زوجها في القتال لجانبه إياها، ثم انتهى الموقف انتهاء خطابيا لا يحل المشكلة، فكان الحل (مكلفتا!).

وقد جنح تيمور إلى تغليب جانب التحليل على جانب الحبكة حتى إنه لم يحفل بترتيب نهاية مفاجئة، وهذا اتجاه فني لا غبار عليه، وقد سلكه مع المحافظة على اجتذاب المشاهدين إلى النهاية، وهي مقدرة لا يستهان بها، ولكني أريد النظر في عنصر القصة الذي يقوم عليه التشويق المسرحي، وهو العلاقة التي بين الحجاج والأهوازية، بدأت هذه العلاقة قوية مشبوبة في أول المسرحية واستمرت متصلة الحوادث حتى نهاية المنظر السادس، ثم كانت في المنظرين السابع والثامن على صورة واحدة، فتاة تسري عن كآبته حكاية عطف ووفاء. وأرى بذلك أن هذه الصور انتهى قبل انتهاء المسرحية بمسافة كبيرة، وسد الفراغ بأشياء أخرى مثل كمرض الحجاج ومناقشته لطبيبه، وقد طال ذلك حتى بدا فاترا لولا بعض المسليات كحركات المضحك «يهروز» ودخول الأعراب على الحجاج.

وقد أخرج المسرحية الأستاذ زكي طليمات ومثل الحجاج،



إلى فضيلة الأستاذ الأكبر:

بدأ الأمل في الإصلاح يعاود نفوس الشعب منذ أن تولى مشيخة الأزهر أستاذنا الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم، وغمرت القلوب فرحة هيمنا لها لأنه قرّب بعيد الآمال لمن طال بهم الانتظار، وإلى حين أحيط فضيلته بهذا المنصب الجليل أسرع إلى الاتصال أن يعينه على النهوض بأعبائه الجسام، وأن يحرص على يديه النهضة الإسلامية الكبرى التي طالما انتظرها الناس له، وإن له من غزير علمه وتجارب سنه وحصيف رأيه وسداد نظره، وحرصه التي رشحته من مستوى المدنية الرخيص ما يتوأل به أن يمسك الدين الإسلامي من التجاحب في طريق المبادئ والإصلاح، ويدفعه للسير في طليعة مواكب الحضارة التي أقامها أصحابها على أساس يواكب روح التطور، ويعرض الإسلام على الناس نقيا طاهراً خالياً من كل شائبة ألصقها به سوء الفهم لمبادئه السامية وجمود القائمين عليه عند نصوصه التي عاصرت ميلاده، فأتهم الدين الإسلامي بالجمود والرجعية، وعدم صلاحيته لأن يجلب لأدواء الحياة المعاصرة. ويعلم الله أن دينه براء من ذلك وأن علاجه المشاكل التي تورطت فيها البشرية هو السبيل الوحيد الذي ينقذ الإنسانية من متاهات الحيرة والضلال ويفضي بها إلى حياة السعادة والكمال؛ وقد شهد له بذلك من أعدائه رجال الفكر والإصلاح الحق بمصيرهم الاعتدال والاتزان من الاستجابة للأهواء

ولابد أنه بذل جهداً كبيراً في ذلك، وخاصة أنه سيعد إعداد فرقة جديدة وإظهارها على المسرح أمام الجمهور لأول مرة، وقد وفق على رغم ذلك في الإخراج والتمثيل إلى حد كبير، فحركات أوضاع الممثلين وحركاتهم وأصواتهم طبيعية متناسقة، وكانت الإضاءة معبرة ومطابقة لأوقاتها، وكان منظر الصواعق وأصوات الاحتراق رائعاً، وقد تجلت فيه طريقة زكي طليمات في التعبير بالمناظر والإيحاء بالأضواء، وزاد هذا المنظر روعة إصرار الحجاج على مواصلة الحرب وما لابس ذلك من قوة التمثيل. وكانت المناظر والملابس موافقة، بيد أني أرى أن المخرج اشترك مع المؤلف في المهادنة بين شخصية شبيب وبين الواقع، فقد بدا في (الحركات) برجليه والفوح اللامعة على صدره كأنه من عساكر الرومان.

وفي المنظر الأول رأينا الوزير يدخل على الخليفة فزعاً صائحاً يطلب النصفة من الحجاج لأنه اعتدى على أمراء. وأعتقد أن التصرف اللائق بالوزير والخليفة أن يدخل الأول هادئاً ويسلم بالخلافة فيؤذن له بالجلوس فيجلس ويبث شكايته. ورأينا الحجاج (رئيس الشرطة) يدخل على الخليفة وبيده سوط، وقد يكون هذا مقبولا، ولكن ما أظن لائقاً أن يفرقع الشرطي السوط أمام الوزير لإرهابه في حضرة أمير المؤمنين!

وقد أدى الأستاذ زكي طليمات دوره في تمثيل شخصية الحجاج بأحسن الأداء، فقد اندمج فيها وخاصة في المناظر الأخيرة فقد لمحت شيئاً من «زكي طليمات» في البدء، ولكني افتقدته بعد ذلك تماما ولم أعد أرى غير الحجاج.

ولم يكن جهد الأستاذ زكي طليمات في الإخراج قاصراً على الرواية، فقد أخرج أيضاً «هؤلاء الأولاد» الذين أظهروا على المسرح كفايات ممتازة تبعث الاطمئنان على مستقبل المسرح في مصر.

كانت سميحة وصفي بدور الأعرابية، فبرعت في تمثيل الفتاة الغريرة المتهتكة والأنثى اللاهية، وكانت سميرة بصوتها وحركتها حسنة لأداء الجرس العربي، وهذا قليل في الممثلات، وهي ميزة تمتاز بها هذه الفرقة ممثلين وممثلات. وقد وصلت سميحة وصفي إلى القمة في المنظر الثالث عندما كانت تحاور الحجاج في شأن خطبته لابنة عبد الله بن جعفر؛ ولكن شدتها كان ظاهراً في المنظر السادس عندما أخذت تفاوض الحجاج من قبل شبيب، كانت ضعيفة واهية، ولعل ذلك لعيها.

وقد ظهر باقي الممثلين والممثلات في أدوار قصيرة، وقد أحسن كل منهم في تأدية دوره، وخاصة عبد الغني قمر وسعيد أبو بكر وعبد الرحيم الزرقاني وصلاح سرحان ونورية مصطفى وسناء جميل وسناء الجمل ومحمد الطوخي وأحمد الجزيري.

وكان توفيق الجميع ظاهرة سارة، لتحقيق أمنية «فرقة المسرح المصري الحديث» التي طالما راودت الأحلام.

عباس خضر

والأعراض .

إن أمتي تراث ورثناه عن الآباء والأجداد في كل أمر، وبيلك الآن يا سيدي وجعلك الله عليه قائماً . وإن أنبل عمل يرضى به الله عنك ويخلدك به التاريخ ويرفع به شأن المسلمين ، أن تنفض من جمال الدين الإسلامي الغبار الذي أثارته الجهالة بشائبه، وأن تفك عنه القيود التي قيدته طويلاً من الغموض ، وأن تجليه للعالمين على الصورة الجميلة الرائعة التي صنعه الله عليها ، فإن ما لحق به من صور التخلف من بدع رزمت شوه تعاليمه ومسخ جماله وأخفى روائعه حتى عن بنيه ، فلا عجب أن رأينا فيهم هذه الروح المتوثبة الجامحة، تطلعوا إلى كل مستحدث غربي ، وأخذوا منه ما يخالف روح الإسلام وتقاليده ، وتمادى بذلك من هم أولى الناس برعايته وحياطته والسهر على إبراز محاسنه ودعوة الناس إليه . أمامك الآن يا سيدي مبهمات تنتظر التوضيح، ومشكلات تتطلب الحلول، وأوضاع يقف المرء حيالها حائراً جداً سليب العزم لأن الواقع صارم في إقناعه .

أمامك الآن يا سيدي مشكلة التعامل بالفائدة ... وماذا يعمل الفلاح الذي لا يجد من يقرض الله قرضاً حسناً ويزجره دينه عن أن يدخل مع شرك التحليف في معاملات تقوم على أساس ربوي.

وأمامك الآن يا سيدي أوراق اليانصيب التي يصرف إيرادها في بناء دور الإسعاف والمبرات والإنفاق عليها في زمن قبضت الكثرة فيه الأيدي من البذل في سبيل الله ، وهذا النوع لا يراه لا يوقع الشيطان بين المساهمين فيه العداوة والبغضاء .

وأمامك يا سيدي موضوع التأمين على الحياة الذي تكالب عليه الناس وخاصة طوائف الموظفين الذين لا تدع لهم تكاليف الحياة ما يدخرونه لبنيهم من بعدهم — وحرص الآباء على سعادة أبنائهم من بعدهم غريزة فطرية لا مناص للمرء من الاستجابة لها أو قضاء حياته في بلبلة واضطراب . وأمامك الآن مشكلة الطلاق وتعدد الزوجات ، تلك التي تهدد الأسر وتزلزل كيانها وتعصف بهنائها وتشرد أولادها ، وأمرها متروك بلا عاصم ولا ضابط ، فشاع الدنس والمقت في كل الأوساط .

وأمامك يا سيدي هذه الهيئات التي تسمي نفسها إسلامية وليس للإسلام فيها ظل من ظلاله أو مسحة من سماته ، ولا يأخذ رجالها أنفسهم بالتزام مبادئه وتعاليمه . وأمامك يا سيدي غير هذه المشاكل مما لا تتسع له هذه العجالة ولا يخفى عليك . فأقدم على بركة الله وسلط عليها من إلهامك وعلمك وعزمك ما يزيل حديدها ويجلو دخنها ويزيل لبسها ويبين للناس موقف الإسلام منها في صراحة ووضوح . وفقك الله إلى كل خير ، وكتب للإسلام على يديك النصر والثبات

فرشوط

عبد الفتاح محمد عمار

بالمعهد الملكي بفرشوط

على حد منكب

زارني بعض إخواني بمنزلي وكنت بين كتبي التي آنس بها وأسكن إليها وقال أحدهم : مالك لا تأتينا بالنادي تحت شجرة الكافور؟ فكان جوابي : ألستم تعلمون أني لا أكاد أتم بهذا المكان إلا إذا كان الأستاذ الكبير صاحب الرسالة بين ظهرانينا ، وأخذ الحديث بعد ذلك يذهب بنا ههنا وههنا ، وكان من أمرهم أنهم أثاروا البحث عن معنى عبارة جرت على قلم صاحب الرسالة في الكلمة الأولى التي أنشأها عن «الأزهر في عهده الجديد(١)» وهو يصف ما كان بين الأستاذ الإمام وبين خديو مصر وهي «لولا أنه كان من سماسة القصر — على حد منكب» وقد قال أحدهم : لم لا يأتي الأستاذ الزيات بعبارات لا تستعصي على أفهام القراء ؟ فقلت لهم : إن للبلغاء سبيلاً في نشر مثل هذه العبارات يتعطون في بثها في بيانهم لتشيع بين الأدباء وتجري على أسنة أقلامهم ، والأستاذ الزيات لا تكاد تخلو كلمة من كلماته من مثل هذه العبارة .

وأخذنا بعد ذلك نتحدث في أصل هذه العبارة فقالوا إننا قد بحثنا عنها في الصحاح النير وما عثرنا فلم نجدها قول تكون في أساس البلاغة وهو لا يكتفي بإيراد المعنى اللغوي للكلمة وإنما يبين معناها المجازي ؟ فأتيت به إليهم ولما لم يعثروا عليها فيه قلت لهم إن مثل هذه العبارة لا يصيبها الباحث إلا في كتب الأدب مما يستعمله كتاب البيان ويخيل إلي أنها توجد في مثل كتاب (مجمع الزوائد) وتناولت هذا الكتاب وكان على مد يدي

(١) العدد ٥٠٥ .

وأخذت أبحث فيه حتى ألفيتها جاثمة بين الصفحتين ٢٤٠ و٤١ من الجزء الأول منه وهـذا نصها : « ويقال هو منه على حد منكب أي منحرف عنه وآخذ في الإعراض » وكأنهم عند ما عثرت عليها قد وجدوا كنزا ولم يسعهم بعد ذلك إلا الإقرار بفضل صاحب الرسالة وعلو كعبه في الأدب وإلا الدعاء له بأن يديمه الله ذخرا للعربية وبلاغتها .

المنصورة — **محمد أبو ريه**

(الرسالة) جاء في معجم أقرب الموارد في مادة (نكب) (وفلان على حد منكب) أى كلما رأى الفتوى ولم يناقش بوجهه . وهو كقولهم (فلان يلقاني على حرف) .

ابن عباس أو حسان : أيهما قال

اطلعت على مجلة الرسالة فرأيت تعليقا على كتاب — أضواء الساهر — للأستاذ سامي الكيالي إذ نسب البيتين الآتيين إلى ابن عباس رضى الله عنهما وهما

إن يأخذ الله من عيني نورهما ... ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل ... وفي فمي صارم كالسيف مأثور

فصاحب الكتاب نسبهما لابن عباس والأستاذ المدرس يستوجب نسبهما لحسان كما رأى ذلك في ديوان حسان .

وفي العقد الفريد جزء ثالث صفحة (١٠٥) قال : وقال ابن عباس لما كف بصره وسرد البيتين . وفي نكت الهميان للصفدي صفحة ٣٧١ يقول أنشد الجاحظ لابن عباس وساق البيتين إلى أن قال الصفدي في صفحة (٧٠) قال المرى .

سواد العين زاد سواد قلبي ... ليتفقا على فهم الأمور
وقبله قال الحربي

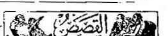
فإن يك عيني خبا نورها ... فكم قبلها نور عيني خبا
فلم يعم قلبي والحمد لله ... أرى نور عيني فقلبي سما

فهذا كلاهما أخذ المعنى من قول ابن عباس .

وعلى هذا صاحب الكتاب له العذر . والذي يرجح أن ابن عباس استشهد بكلام حسان أن الأخير هو المشهور بالشعر وابن عباس عرف بالحفظ وكلاهما كانا بصيرين كف بصرهما في الكبر وليس وجود الشعر في الديوان دليلا على أن النسبة صحيحة لحسان

فكم من أبيات أدرجت وكم من أبيات حذفت ولم يتلق ديوان حسان بسند متصل . والصحيح نسبة الكلام والقول لقائله عسير جدا وقد نسب ديوان لعلي كرم الله وجهه والأدباء يقولون إنه لم يقل شعرا إلا بيتين . وقالوا إن كل شعر مجهول نسب إلى مجنون ليلى وليس هذا خاصا بالنثر والشعر بل تتناول الأقوال والآراء والحمد لله الذي لم يعصم إلا كتابه .

أسيوط — **سيد علي الطوبجي**
الواعظ العام لمديرية أسيوط وجرجا



أحـــلام الزفاف

مهداة إلى روح الأديب الشاب محمد إسماعيل [illegible]

للأديب محمد أبو المعاطي أبو النجا

الأضواء الساطعة التي تندت من نهاية الزقاق، والجموع الحاشدة التي تتوافد إلى هناك، يؤكدان أن حادثاً هاماً شغل أهل الزقاق هذا المساء!

أما الأغاريد التي تنبعث بين آن وآخر، والأغنيات التي تسمع بين حين وحين، والأعلام الصغيرة الحمراء التي يهزها نسيم المساء الهادئ فتبدو كأنها أيد تدعو الناس إلى الحضور هناك...

كل أولئك كان يشير إلى أن الحادث الهام عرس من تلك الأعراس السعيدة التي تشغل أهل القرية كلما انفتح جيب شيخ المال، وأشرق وجه فتاة بالجمال!...

ماذا! استخفتك هذه الأغاريد الحلوة، وراعتك هذه الأغنيات الشجية، وسرت في زحمة الناس إلى هناك تشترى في نهاية الزقاق فنوناً من الزينة وضروباً من البهجة تحيط بالعروسين في مكانهما المرتفع الغارق في الأزهار والأنوار...

وأقسم أنك لن تنظر إلى الأزهار وقد نسقت في نظام بديع، ولا إلى الأنوار وقد تألقت في وضع جذاب، ولا إلى العذارى من بنات القرية وقد أحطن بالعروس الشابة مثلما تحيط الملائكة بروح طاهرة تدخل الجنة! — لا، لن تنظر إلى شيء من ذلك وإنك ستحدق مذهولاً في عيني العروس الفاتنة وستجد في نظراتها الساحرة الآسرة غناء عن كل أولئك

وستظل تحدق في وجهها لا على التحديق، وعلى حين فجأة ستجد هاتين العينين تحلقان في هدوء عجيب، وستجد العروس الفاتنة لا تحس شيئاً مما حولها من، ولا يريبها الشاب الجالس إلى جوارها وهو يدخن لفافته الهادئة إليه دون كلل أو فتور

ستشعر أنت بالضيق حين يحجب ذلك هذا الفيض الزاخر من السحر، وستحس رغبة ملحة في رؤية هذه العيون من جديد أو على الأمل في رؤية تلك الأحلام التي تمر مستخفية وراء تلك الأهداب الطوال...

ومن هنا سأقص عليك قصة تلك الأحلام... أرأيت أنك كنت مشغولاً بسببها لم تر ذلك الطفل الذي دخل هذا منذ لحظات وجعل يتأمل وجوه الناس ويتفقد أرجاء المكان؟ إنه «سامي» الأخ الصغير «لمحمود» — وأنت لا تعرف محموداً هذا، ولكن «العروس» تعرفه جيداً — إنه الأفق الرحيب الذي تحلق فيه تلك الأحلام، أما سامي الصغير — سامي الذي أثار بمرآه ذكريات رقدت في حنايا القلب وأمدت في أثناء الروح — سامي هذا كان بمثابة الجناح الذي حمل العروس وحلق بها في وادي الأحلام، حيث يتراءى لها طيف محمود فوق كل ربوة وعند كل زهرة وحول كل غدير...

إنها تعرف كل شيء عن «محمود» — تعرف أنه كان يتردد على منزلهم كلما أقبل في إجازة مدرسية إلى القرية، فأواصر القرابة التي تربط بينهم أقوى من أن تتركه يهمل تلك الزيارات

كانت تشعر بنشوة خاطفة عندما يقبل وهو يسير في خطوات متوثبة حية كأنما يرقص على إيقاعها الشباب — وكانت دائماً تخشى أن تطيل النظر إليه حتى لا تلتقي منها النظرات كانت تشعر كأن في عينيه قوة نفاذة تبهرها بعنف فيصعد في وجهها ذلك الدم الحار الذي يكشف المكنون من العواطف ويزيح عن المشاعر أستار الجمود...

لذلك كانت تؤثر أن تقف خلف باب الحجرة التي يجلس فيها مع والدها تسمع حديثه الفتى المرح الذي تتخلله الضحكات، وما لها من ضحكات سحرية كانت تخترق صدرها الصغير لتوقظ ذلك الحب الراقد هناك في لفائف الصبا الغرير...

إنها تذكر كل ذلك... وتذكر أيضاً أن أباها مرة طلب إليها أن تصنع «شاياً» للضيف العزيز ولكنها لم تكد تضع الشاي على الموقد حتى تركته وراحت تعدو خفيفة إلى مكانها المأثور خلف باب الحجرة، ولم تبارح مكانها المحبوب إلا بعد أن ارتفع صوت والدها يستعجل الشراب للضيف الأثير. وحين عادت مكانها إلى الموقد كان الشاي قد غاض مكانه إلى الأرض...

وتذكر أيضاً وما أجمل الذكريات! أنها كانت تتمنى أن تتحدث إلى «محمود» وأن تراه يخصها بكلماته ويشعرها بنظراته ويشعر بوجودها في خاطره ولو لحظات، هي التي تجعل كل خواطرها وقفاً عليه!! وقد واتتها تلك الأمنية السعيدة حين ذهب «محمود» إلى منزلهم ولم يكن أحد سواها هناك. لقد استجابت متكلفة إلى

طرقات الباب ولم يكد ينفرج عن وجه محمود حتى ندت عنها آهة خافتة كانت بمثابة عنوان صادق لكتاب مشاعرها الكبير وحتى تلون وجهها الجميل بحمرة خفيفة كانت بمثابة صوت صامت من أعماقها العذراء.

وأخرجها محمود من ارتباكها حين سألها:

— هل أبوك موجود؟ وأجابت بنبرات متقطعة خجولة

— إنه خرج ... ولكن ... تفضل ...! وأجابها وهو يبتسم

— سأعود مرة أخرى! هكذا وقد تغلبت على خجلها بعض الشئ

— ومتى ذلك؟ وأردف في نبرة حلوة:

— حين تريدين! تذكر أنها لم تجب بعد ذلك وتذكر أنه خلفها بعد أن ربت على كتفها وهو يقول في صوت أخاذ

— وداعاً إلى أن أعود... ولم يكد يتوارى في نهاية الطريق حتى طفقت تعدو نشوى في أنحاء الدار كانت أشبه بسجين مدمن يتناول كأساً من الخمر لم يذق طعمها منذ أمد بعيد.

وراحت تردد وهي مبهورة الأنفاس متوترة الأعصاب

رب ... إنني لا أصدق أذني! أحقاً أني صادفت هوى من نفس محمود؟ أحقاً أن هذا الفتى، الأنيق الرصين الذي كنت أمسه على كتفي كان يده؟ أحقاً أنه يحبني؟

وأصبحت تجد طيف محمود في كل ما تنظر، وتستوعب حديثه في كل ما تسمع، وتعيش حياته في كل ما تحلم، وأصبح محمود في دنياها كل شئ!!

وتتذكر فيما أمضت الذكريات أنهما تلاقيا بعد ذلك كثيراً وتحدثا كثيراً وفي ضوء تلك الأحاديث الشهية تلاقت خواطرهما الثنائية تسير في هذا الطريق الخالد الذي تزرع القلوب البشرية على جانبيه أزهار الأمل تعطر بالمشاق أنسام الحياة

كان يحضنها من غرامه حين يلقاها فتطرق!

وكان يربت على خدها حين يودعها فتبتسم. وكان هذا اللقاء الحبيب يتم بينهما خلسة في مكان بعيد ... بعيد جداً هناك حيث لا تمتد عينا الفضائح

والعجب ما في الأمر أنها كانت تعلم أن هذه العلاقة لن تنتهي بهما إلى زواج .. كانت تعلم أن السنوات الباقية في حياته الدراسية وأن المركز الذي ينتظره في حياته الاجتماعية سوف يحولان بينه وبين تلك الأمنية النائية إلى دنيا الذكريات والأحلام. ثم هل تفكر الفتاة الريفية البسيطة في الزواج بمحمود؟

يا لشرود الأحلام! لقد كانت كل أمانيها بالأمس تنحصر في شئ واحد هو أن تتحدث إليه. فهل يجمع بها الأحولة إلى هذا الحد الذي تريد أن تشاركه فيه ميدانه؟! ثم ألا يكفيها أنه يحبها؟ إنه بلقائها فترى في عينيه من الأشواق ما تستطيع محاولتها أن تدل قلبها إلى الأبد!! ثم أليست هي أولى من الفتيات حين يحضر وآخر من يراه حين يسافر؟ حسبها إذن هذا المكان الجميل مادام في قلب محمود!!

ثم تختلط أمامها الصور وتتزاحم الرؤى وتتماوج الأطياف حتى تتفرج أخيراً عن صورة تبدو واضحة السمات بارزة المعالم تلك هي صورة «متولي»

إنها تذكر جيداً هذا المساء الذي حضر فيه مع والده وبعض الناس. لقد جلسوا طويلاً يتشاورون في أمر خطبتها «لمتولي» ثم انتهى المجلس بإعلان «الخطبة». وتذكر أن أمها وبعض الجيران يزغردن في سرور والجميع يهتف بها في نشوة: مبروك يا صبيحة ...!!

أما هي فقد كانت أشبه ما تكون بطفل صغير فقد يد أمه الأكبر في حفلة من حفلات الزفاف، وجعل يبكي بين هتاف ... وأصوات الزغاريد دون أن يشعر به أحد. لقد كانت تلك الأصوات الحائرة تصل إلى أذنيها أشبه بالنواح ... تشيع أحلامها العذراء نحو مقابر الحرمان.

أجل حدث كل ذلك بالرغم من أنها كانت تمنى بأن محموداً لن يكون زوجها المنتظر وأدركت تماماً أنها كانت تخدع قلبها الصغير حين راحت توهمه بأن الزواج يصبح أملاً بسيطاً حين تنضج آمال الحب وتسمو مشاعر العشاق!! ... ومنذ ذلك اليوم أحست بأنها قد استيقظت من حلم جميل .. ومنذ ذلك اليوم أيضاً غاب عنها محمود!! لقد ظن الفتى النبيل أنه بذلك يساعدها على النسيان ولم يكن يقدر أن سيأتي اليوم الذي يبحث عنه قد أثار كل هذه الذكريات ...

لقد كانت الفتاة المسكينة تغمض عينيها عن ضياء الحقائق لتنعم بطيف حبيبها في ظلام الأحلام! وعادت إليك تلك النظرات الساحرة الفاترة أشبه بتبسم مهموك كان يرود غير واعٍ. الشاب! ومرة أخرى سوف تأتيك هذه النظرات من صاحب ذلك الحوار، إنه يدور بين شاب في ربيع العمر وشيخ في خريف الحياة، أما الأول فهو يهتف في نشوة غامرة

— رباه إنها تحلم ... وأما الثاني فيجيبه بصوت ثقة وتجربة

— أجل إنها بالسعادة الحقة

محمد أبو المعاطي أبو النجا